

قضايا الشباب

أ.د. أحمد شوقي إبراهيم

سلسلة
التربية الإسلامية

7
قضايا الشباب

تأليف

أ.د. أحمد شـوقي إبراهيم

رئيس المجمع العلمي لبحوث القرآن والسُّنَّة بجمهورية مصر العربية
رئيس مؤسسة الدكتور أحمد شوقي إبراهيم للإعجاز العلمي في القرآن والسُّنَّة ج.م.ع
زميل كلية الأطباء الملكية بلندن وأدنبره - مستشار الأمراض الباطنية وأمراض القلب
عضو لجنة الإعجاز العلمي بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف
عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو اللجنة الوطنية للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) - القاهرة

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

الترقيم الدولي: **977-14-4465-4**

رقم الإيداع: **2011 / 21620**

الطبعة الأولى: يناير 2012



21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

تليفون : 33466434 - 33472864 02

فاكس : 33462576 02

خدمة العملاء : **16766**

Website: www.nahdetmisr.com

E-mail: publishing@nahdetmisr.com

الشباب والزواج

نظر الإسلام إلى غريزة الجنس في الإنسان على أنها حافز إلى زواج يَبْقَى به النوع، ويَعْمُر به الكون، وهذا أمر لا يتم بصورة كاملة إلا بالزواج، ولذلك فتح الإسلام باب الزواج، وحثَّ الناس عليه، فأغناهم عن قضاء وطرهم الجنسي بسواه، والذين أصلح الله قلوبهم بالإسلام، وهذب طباعهم بآدابه، إنما يستجيبون لنداء الفطرة من هذا الطريق، ولا تحملهم شهوة جامحة إلى غيره، عملًا بقوله: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: 33].

وقد أدت الأزمة الاقتصادية التي تعيشها المجتمعات الإسلامية إلى أزمات اجتماعية، وثقافية شملت الآباء وامتدت إلى الأبناء، حتى أصبح التفكير في الزواج، وبناء الأسرة نوعًا من الترف الذي يجب أن يتوقف عنه الشباب، وبالتالي لجأ الشباب إلى مجموعة من الحلول المختلفة لتفريغ طاقاتهم الجنسية، وإشباع الرغبات المتأججة في صدورهم، وإطفاء نيران الرغبة لديهم.

ومن صور الزواج التي لجأ إليها الشباب وانتشرت في مصر والعالم العربي بصورة لم يسبق لها مثيل خاصة في الجامعات، وبين طلاب المدارس الزواج العرفي، وهو أحد أنواع الزيجات التي سوف يهتم بها الكتاب الذي بين أيدينا، وأيضًا زواج المتعة.

وقد انتشرت أنواع من الزواج لم يكن بعضها يعرف من قبل مثل زواج الكاسيت: الذي من خلاله لا يحتاج الطرفان إلى كتابة ورقة أو لشهود أو غيرهما من تلك الأعباء التي تعوقهما ويكتفي كل من الشاب والفتاة الراغبين في الزواج بترديد عبارات بسيطة كأن يقول الشاب لفتاته «أريد أن أتزوجك»، فترد عليه بالقبول بتزويج نفسها له، ويتم تسجيل هذا الحوار البسيط على شريط كاسيت، وبعدها يمارس كل منهما حقوقه الزوجية كأي زواج عادي.

ومن ذلك زواج الوشم: حيث يذهب الشاب والفتاة إلى أحد مراكز الوشم، ويقومان باختيار رسم معين يرسمانه على ذراعيهما أو على أي مكان يختارانه من جسميهما. ويكون هذا الوشم بمثابة عقد الزواج. وبموجب هذا الوشم يتحول الشاب والفتاة إلى زوج وزوجة لهما الحق في ممارسة جميع الحقوق الزوجية.

وهناك أيضًا زواج الطوابع وهو آخر صيحة من صيحات الزواج المنتشرة هذه الأيام، ويتم هذا الزواج عبر اتفاق الطرفين على الزواج، ويقومان بشراء طابع بريد عادي. ويقوم الشاب بلصق الطابع على الجبين، وبعد عدة دقائق يعطى الطابع للفتاة التي تقوم بدورها بلصق الطابع على جبينها، وبهذا تنتهي مراسم الزواج، ويتحول بعدها الشاب إلى زوج، والفتاة إلى زوجة، وسط

تهنئة وفرحة الأصدقاء الذين يساعدونهما على تحمل تكاليف الزواج عبر توفير مكان لهما ليلتقيا فيه بخصوصية.

وهناك ما دعا إليه الشيخ «عبدالمجيد الزنداني»- رئيس جامعة الإيمان باليمن- عندما أصدر فتوى باسم زواج فريند، ثم أكد أنه زواج مُيسَّر.

الشباب وزواج المسيار

انتشر هذا الزواج بصورة كبيرة في الآونة الأخيرة، خاصة في دول الخليج، وتعددت فيه الآراء بين مؤيد ومعارض.

يعرف الشيخ عبد الباري الزمزمي عضو رابطة علماء المغرب (المسيار) بأنه مصطلح حديث، وأسلوب جديد في العلاقة بين الزوجين لم يكن معروفًا على هذه الشاكلة من قبل، وإن كان له أصل في سنة النبي ﷺ، ويراد به أن يتزوج رجل امرأة دون أن يكون لها حق عليه، فلا تطالبه بالنفقة، ولا بالإقامة عندها، ولا بالسكن، وإنما يأتيها متى شاء، ويعطيها إذا شاء، ولا تلزمه بشيء من ذلك، وهذا التنازل منها يتم باختيار المرأة ورضاها وطيب نفس؛ لرغبتها في الزواج، وحاجتها إلى رجل يقوم برعايتها، ويكون مسئولًا عنها.

أما عن الأسباب التي دعت إلى انتشار زواج المسيار والقول به فعديدة، منها ما يتعلق بالنساء، ومنها ما يتعلق بالرجال، ومنها ما يتعلق بالمجتمع.

أما الأسباب التي تتعلق بالنساء فتتمثل في وجود عدد كبير من النساء في المجتمعات الإسلامية- وخاصة الخليجية- بلغن سن الزواج ولم يتزوجن بعد، أو تزوجن وفارقن الأزواج لموت أو طلاق ونحو ذلك، كذلك رفض كثير من النساء فكرة التعدد، وقد أدى هذا الرفض إلى لجوء الرجال إلى الزواج عن طريق المسيار بدافع الحرص على عدم علم الزوجة الأولى، وكذلك الخوف على كيان أسرته من الاهتزاز، كذلك حاجة بعض النساء إلى المكث في بيت أهلها لرعاية أبويها، فربما لا يوجد عائل لهما إلا هي، أو يكون عندها بعض الإعاقة التي تمنعها من تحمل مسئولية البيت، ويرغب أولياؤها في إعفافها والحصول على الذرية ولا يكلفون الزوج شيئًا.

ومن الأسباب التي تتعلق بالرجال: رغبة بعض الرجال في المتعة التي ربما لا يجدها مع زوجته الأولى، بسبب كبر سنها مثلًا أو انشغالها مع أولادها ونحو ذلك، وهذا حق مشروع، ومن ذلك أيضًا عدم رغبة أو عدم قدرة بعض الرجال على تحمل المزيد من الأعباء، خصوصًا في العصر الحاضر، والتكلفة الباهظة في الزيجات، مع رغبته في زوجة من أجل المتعة والإعفاف، وأيضًا عدم استقرار الرجل بسبب العمل في مكان بعينه.

ومن الأسباب التي تتعلق بالمجتمع: غلاء المهور وارتفاع تكاليف الزواج بحيث تفوق قدرته المالية، كذلك نظرة المجتمع بشيء من الازدراء للرجل الذي يرغب في التعدد، فيتهمه المجتمع بأنه شهواني ولا هَمَّ له إلا النساء، وقد يكون هذا الرجل بحاجة فعلية إلى امرأة تعفه لظروف

خاصة قد تكون عند زوجته، مما يدفعه للبحث عن زواج فيه ستر وبعد عن أعين المجتمع، فكانت هذه الصورة.

والتنازل عن بعض الحقوق أمر مشروع في الإسلام، إذ يجوز لكل من الزوجين أن يتنازل عن بعض حقه، وعن حقه كله لصاحبه، وليس في الإسلام ما يمنع أحدهما من ذلك، بل في القرآن والسنة ما يجعل ذلك مشروعًا لهما، كقوله عز وجل:﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ [النساء: 4].

يقول الدكتور علي جمعة مفتي الديار المصرية: الزواج أركانه القبول والإيجاب والخلو من الموانع الشرعية لكل من الزوجين والولي والشاهدين، فإذا توافرت هذه الأركان بالعقد بين الرجل والمرأة يعتبر عقدًا شرعيًّا، وإذا اختل ركن منها، فالعقد باطل، والمسلمون عند شروطهم، ويجوز للمرأة أن تتنازل عن حقها في المبيت عندها؛ لأن سودة بنت زمعة قد تنازلت عن ليلتها لعائشة ويجوز أن تتنازل عن مهرها أو نفقتها؛ لأن الله يقول: ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴾ [النساء: 4] وللمرأة أن ترجع فيما تنازلت عنه في أي وقت والله أعلم.

ويؤكد الدكتور وهبة الزحيلي - أستاذ الشريعة بالجامعات السورية- أن زواج المسيار وإن لم يحقق جميع أهداف الزواج التي شرع الله الزواج لها- ومنها تكاثر النسل والحفاظ على النوع الإنساني وإنجاب الذرية، وتحقيق العفاف وصون الإنسان عن التورط في الفواحش والمحرَّمات، والتعاون بين الرجل والمرأة على شئون العيش وظروف الحياة والمؤانسة، وإيجاد الود والسكينة والطمأنينة بين الزوجين، وتربية الأولاد تربية قويمة في مظلة من الحنان والعطف - إلا أنه زواج صحيح مستوفٍ لشروط صحة النكاح، وأركانه الشرعية من رضا الولي والشهادة والإعلان، فإن فقد أحد هذه الشروط لم يصح عند جماعة من الفقهاء.

ونلاحظ هنا أن الزحيلي يعتبر الإعلان شرطًا من شروط صحة الزواج، في حين أن أحد مواضع الإشكال في زواج المسيار عدم إعلان النكاح، بل قد يصحبه تواصٍ بكتمانه أو تواطئ على ذلك، بالإضافة إلى فوات كثير من مقاصد النكاح، وظهور بعض المشكلات الاجتماعية نتيجة انتشار هذا النوع من الزواج في المجتمع الخليجي خاصة كصورة من صور الترف المادي الذي يعيشه الخليج العربي، وكغطاء شرعي لصور أخرى من زيجات يكون الهدف من ورائها المتعة فقط مقابل المال.

ولأجل ذلك يحذر الزحيلي من هذا الزواج مادام لا يحقق جميع مقاصد الزواج الشرعية والإنسانية والاجتماعية على النحو الصحيح أو الأفضل.

إذن فزواج المسيار زواج شرعي جائز أوجبته ضرورات الحياة، وتطور المجتمعات وظروف العيش كما يقرر الشيخ يوسف القرضاوي، إلا أنه مكروه لأجل ما فيه من الإسرار، وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم، ومنهم: فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله- وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ مفتي عام المملكة العربية السعودية، وفضيلة شيخ الأزهر السابق محمد سيد

طنطاوي شيخ الجامع الأزهر، والشيخ نصر فريد مفتي جمهورية مصر العربية الأسبق، والدكتور يوسف القرضاوي، وفي ذلك يقول: «أنا لست من دعاة زواج المسيار ولا من المرغبين فيه، فلم أكتب مقالة في تحبيذه أو الدفاع عنه، ولم أخطب خطبة تدعو إليه. كل ما في الأمر أني سئلت سؤالًا عنه فلم يسعني أن أخالف ضميري، أو أتاجر بديني، أو أشتري رضا الناس بسخط ربي فأحرم ما أعتقد أنه حلال».

وهناك جماعة من أهل العلم رفضوا زواج المسيار وأقروا بعدم جوازه، منهم: فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى - حيث قال: إن فيه مضار كثيرة على رأسها تأثيره السلبي على تربية الأولاد وأخلاقهم.

ومن المانعين الشيخ عبد العزيز المسند، الداعية الإسلامي المعروف بالمملكة العربية السعودية، والذي تخوف من أن إباحته تؤدي إلى تلاعب الفاسقين بالنساء بغطاء شرعي، ويعتبره وسيلة من وسائل الفساد للفساق.

أما الدكتور عجيل جاسم النشمي، عميد كلية الشريعة بالكويت الأسبق، فيرى أن زواج المسيار عقد باطل وإن لم يكن باطلًا فهو عقد فاسد.

ففي هذا الزواج استهانة بعقد الزواج، وأنه قد يُتخذ ذريعة إلى الفساد، كما أنه يخالف مقاصد الشريعة الإسلامية التي تتمثل في تكوين أسرة مستقرة، وعدم الإعلان، وما يترتب عليه من وقوع الضرر على الزوجة الأولى، لأنه سيذهب إلى الزوجة الثانية دون علمها وسيقضي وقتًا معها، ويعاشرها على حساب وقت وحق الزوجة الأولى في المعاشرة، وأخيرًا سهولة إنهائه إذا طالبت بالنفقة وقد تنازلت عنها من قبل، ويشبه «النشمي» هذا الزواج بزواج المحلل وزواج المتعة من حيث الصحة شكلًا، والحرمة شرعًا.

ومن الذين قالوا بعدم إباحته أيضًا الدكتور محمد الراوي- عضو مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف- وفي ذلك يقول: «المسيار هذا.. ليس من الزواج في شيء؛ لأن الزواج: السكن، والمودة، والرحمة، تقوم به الأسرة، ويحفظ به العرض، وتصان به الحقوق والواجبات».

وفي النهاية لا نستطيع أن نحكم على زواج المسيار بأنه حرام بعد هذه الأدلة الدامغة من علماء الفقه والأصول، فمن حق المرأة أن تختار، ومن حقها أن تتنازل عن حقها، لكنَّا في المقابل نقرر أن الله سبحانه وتعالى أعلم بمصالح عباده، وبما يَصلُح به دنياهم وأُخراهم، ومن أجل ذلك أقر من الحقوق والواجبات لكل منهما ما يدعم ذلك، ويَفِي به، فيجب أن تكون المرأة على حذر من التخلي عن حقوقها، لأن القلوب تتغير، والأحوال تتبدل، وما يرضي اليوم قد لا يرضي غدًا، وربما وقع بها ظلم خاصة في العشرة الزوجية التي قد تحتجب أو تغيب عنها فترة بعيدة، فتقع فيما حاولت الهرب منه بذلك الزواج.

الشباب وزواج المتعة

في الآونة الأخيرة نجد الكثير من الدعوات إلى إباحة زواج المتعة، باعتباره علاجًا ناجحًا وطبيعيًّا وشافيًا لوباء الإثارة ومغريات الجنس، كما أنه حل رائع لمن تعدين سن الزواج والمطلقات، أو اللواتي توفي أزواجهن، وليس من السهل الصمود أمام تحريك الأحاسيس، وحاجة الإنسان لإشباع هذه الغريزة بطريقة تحفظ له كرامته وتلبي حاجته، كما أنه حل المغتربين في العالم الغربي، ويقرر السيد حسين مكي العاملي الشيعي في كتابه (المتعة في الإسلام) أن زواج المتعة ركن أساسي من أركان هذا الدين، وأصل من أصوله.

فهل المتعة علاقة جنسية سوية ومقبولة دينيًّا واجتماعيًّا وعرفيًّا؟ ولكي نجيب عن هذا السؤال لابد من التعريف بزواج المتعة أولًا.

زواج المتعة زواج لأجل مقابل أجر يتفق عليه الطرفان بالتراضي، يهدف إلى الاستمتاع فقط دون الولد، وهو زواج بلا قيمة ولا نفقة ولا توريث ولا طلاق، ينتهي بانتهاء الأجل، وهذا هو الفرق بينه وبين الزواج العادي.

والأصل في مشروعيته قوله تعالى: **وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (32) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (42) ﴾ [النساء: 23، 24].**

فالمراد بالاستمتاع في الآية زواج المتعة، وقد سمى الله مهرها أجرًا، وهذا يلائم الشيء غير الدائم، فبذلك يكون القرآن صريحًا بمشروعية زواج المتعة.

كما اعتمد القائلون بجوازه على عدد من الأحاديث النبوية منها ما ورد عن عمران بن الحصين أنه قال: «نزلت المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمها، ولم ينه عنه حتى مات، قال رجل برأيه ما شاء» قال محمد (يعني البخاري) يقال عمر(1).

وجاء أيضًا... كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنه، قال: فذكر ذلك لجابر بن عبد الله، فقال: على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله ﷺ فلما قام عمر قال: إن الله يحل لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازله فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله، واتبعوا نكاح هذه النساء، فإن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة(2).

أما مذهب أهل السنة والجماعة فالإجماع على تحريم المتعة تحريمًا أبديًّا، ولم يخالف إلا الشيعة، وهم في ذلك يعتمدون على أحاديث نبوية صحيحة وصريحة في التحريم، ويذهبون إلى أن دلالات القبول بزواج المتعة خطيرة، لأنها لا تتناسق مع ما ألفناه من احترام لنصوص وردت في كتب الحديث والسنة، وفي تفاسير القرآن الكريم، وفي أقوال كبار الفقهاء.

أولًا: عدم مراعاة سياق الآية:

لم يراع القائلون بالجواز سياق الآية التي اعتمدوا عليها في مشروعية زواج المتعة، فهي تتحدث عن محرمات الزواج الدائم، قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاَتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلاَئِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلاَبِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (32) وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: 23، 24]، فما حرم هو الزواج من الأم والابنة والعمة والخالة والجمع بين الأختين ومن المتزوجة، وما غير ذلك فهو حلال، ومن أجل ذلك قال:﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾ عطفًا على قوله ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾.

وقوله: ﴿أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ أي لتتزوجوهن بالمهور قاصدين ما شرع الله النكاح لأجله، وليس لمجرد سفح الماء كما يفعل الزناة، والذي يعقد المتعة ليوم أو يومين لا يكون غرضه إلا سفح الماء وقضاء الشهوة الحيوانية.

ومن هنا يؤكد الدكتور علي حسب الله في كتابه (الزواج في الشريعة الإسلامية) أن الاستمتاع هنا ليس معناه عقد زواج مؤقت كما يزعم الشيعة، فالقرآن الكريم عبر عن العلاقة بين الرجل والمرأة أي العلاقة الزوجية، بأحد لفظين (النكاح والزواج)، ودلالة اللفظين على هذا المعنى لغوية وشرعية، أما الاستمتاع فلم يستخدم في عقد الزواج، فيبقى على معناه الحقيقي، حتى يدل دليل على صرفه عنه إلى غيره.

أما تسمية المهور بالأجور فذلك إشعار بأنها تُعطى في نظير متعة للزوج، وحث على عدم المماطلة والتهاون في أدائها، وقد ورد ذلك المعنى في القرآن الكريم في الزواج الدائم، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ [الأحزاب: 50].

وينتهي الدكتور حسب الله إلى أنه لا ينبغي لأحد أن يعلق في إباحة المتعة بشيء من القرآن الكريم، ويحمِّل آياته ما لا تحتمل انتصارًا لمذهب اعتنقه أو رأي قلد فيه غيره، فيجب على المفسر أن يلتزم بأصول التفسير ومناهج التأويل ودلالات المصطلحات في كل موضع يجري استعمالها فيه.

ثانيًا: مخالفة منهجية:

أما فيما يخص الحديث النبوي الشريف فنجد أن المجيزين لم يأخذوا بأحاديث تحريم المتعة - على كثرتها؛ لأنها من غير طرقهم وعن غير أئمتهم، وقد روى الشيعة أقوالًا تؤيد مذهبهم كقول عليٍّ : «لولا أن عمر نهى عن المتعة لما زنى إلا شقي»؛ وفيه اتهام لعمر بأنه نهى عما كان

في حياة رسول الله ﷺ سائغًا حلالًا، وهذا يوجب إسقاط الحديث، ويوهم أن التحريم لم يصدر عن النبي ﷺ، بل صدر عن عمر، مع أن المروي أنه عزا ذلك لرسول الله ﷺ، وهناك حديث صحيح رواه الخمسة أن النبي ﷺ هو الذي نهى عنه، ونحن نستبعد صدور هذا الحديث عن علي، وقد روى البخاري في صحيحه أن عليًّا قال لابن عباس رضي الله عنهما: «إن النبي ﷺ نهى عن المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر»(3).

كما أن هذه الأحاديث التي يحتج بها الشيعة لم ترد في أي كتاب حديث معتبر ومشهور، بل لم ترد في كتب الطبري والبغوي والخازن وابن كثير، ومن تبعهم من الذين دأبوا على استقصاء الأحاديث، باستثناء الحديث المروي عن علي الذي رواه الطبري، ولكننا قرأنا هذه الأحاديث مجتمعة في تفسير الطوسي والطبرسي الشيعيين.

ثالثًا: تراجع ابن عباس عن فتواه:

أما عن فتوى ابن عباس فقد روى البيهقي عن ابن شهاب الزهري أنه قال: إن ابن عباس ما مات حتى رجع عن هذه الفتيا(4).

قال ابن قيم الجوزية «هذا الذي لحظه ابن عباس فأفتى بحلها للضرورة، فلما توسع الناس فيها، ولم يقتصروا على موضع الضرورة أمسك عن فتياه، ورجع عنها».

وهنا سؤال يطرح نفسه وهو: كيف أفتى ابن عباس بحل المتعة أو إباحته في حالة الضيق مع بلوغه التحريم من علي بن أبي طالب؟

ويجيب الأهدل في كتابه (زواج المتعة) عن هذا السؤال بأن ابن عباس كان مستنده في الإباحة آية الاستمتاع، وفعلها في عهد رسول الله ﷺ في ظروف الغزو والعنت في الأسفار، فعندما أعلم تحريمها بخيبر التي وسع الله فيها على المسلمين أدرك زوال الأسباب المرخصة فيها، فبقي على تحريمها في حالة السعة وإباحتها في حالة الضيق، ولو أعلم بتحريمها تأبيدًا لقامت عليه الحجة، ولما استمر في الترخيص فيها لمن احتاج إليها.

رابعًا: زواج المتعة يؤدي إلى تناقض النصوص:

إن الله - سبحانه وتعالى - أمر من لا يستطيع الزواج بأن يجاهد نفسه، فقال: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: 33]، وأمره رسوله ﷺ بأن يستعين بالصيام، حتى يحميه من الوقوع في الخطأ فقال ﷺ: **« يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»**(5).

فلو كانت المتعة بكفٍّ من بر أو قبضة من تمر حلالًا، لم يكن معنى لأمر الله ورسوله بالاستعفاف لأن وجوب الاستعفاف عند العجز عن النكاح يناقض حلية المتعة، فإنه إذا عجز عن

النكاح، فبإمكانه التمتع ولو بكف من بر أو قبضة من تمر، وروي عن أبي هريرة أنه قال: قلت: يا رسول الله - إني رجل شاب، وأنا أخاف على نفسي العنت، ولا أجد ما أتزوج به النساء، فأذن لي أختص فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك، فقال لي **«يا أبا هريرة جفت القلم بما أنت لاق، فاختص على ذلك أو ذر»**[(6)]، ولو كانت المتعة مباحة لنصح الرسول ﷺ أبا هريرة بزواج مؤقت لا يكلفه ما يكلف الزواج الدائم من أعباء.

خامسًا: لا تفصيل للمتعة في القرآن والسنة:

ويعرض أبو الفتح القدسي في كتابه (تحريم نكاح المتعة في الكتاب والسنة) لتساؤل خطير وهو: كيف نعد زواج المتعة أصلًا من أصول الدين - كما ذكر الشيعة - مع أنه أكثر تعقيدًا من الزواج العادي وأخطر أثرًا، وبالرغم من ذلك نجد القرآن يشير إليه بصورة خفية - لو صحت الإشارة أنها إليه - ولو أنه كما عرضه الشيعة أو كما يدعو لما عرضه هذا العرض الخاطف، ولجعله قضية بذاتها، ولرسم حدوده، وبين معالمه وموقف كل من الرجل والمرأة فيه، ولما ترك المجال للبشر ليشرعوا أحكامه وقوانينه، هذا يقول: ترث، وذاك يقول: إلا مع الشرط، وثالث يقول: اشترطا أو لم يشترطا لا ترث، بل إننا نلاحظ أنه لا يوجد حديث واحد، ولو ضعيف أو موضوع سواء في تفسير الرسول لآية المتعة أو بيان أحكام ذلك الزواج.

سادسًا: إنه دعوة للإباحية:

ويؤكد الكاتب أحمد أمين في كتابه (ضحى الإسلام) أن زواج المتعة فيه تسهيل لعيشة الإباحية التي لا تتقيد بقيود، ولا تتحمل عبء الزواج، يضاف إلى ذلك ما يستتبعه نظام إباحة المتعة من فساد المرأة واستهتارها وكثرة الضحايا منهن.

وهو ما ذهب إليه الشيخ سيد سابق في (فقه السنة) حيث تكون المرأة في هذا الزواج بمثابة سلعة تتداولها أيدي الرجال، تباع وتشترى في الأسواق- أسواق الشهوات والملذات- وتنتقل من رجل إلى آخر، ومن بيت إلى بيت، كلما وجدت الخدين الموافق والعشير الخبير.

إذنْ علاقة المتعة علاقة حيوانية بحتة، لا ترتفع إلى هذه المعاني السامية، إذ هي انسلاخ عن الطبيعة الإنسانية، ووقاحة يمجها الباطن السليم، فهو زواج مادي صرف، هدفه قضاء الشهوة وصب الماء وسفحه، فيكون سفاحًا، أما الزواج فالهدف الأمثل له هو الاستيلاد، وبقاء النسل والنوع، والمحافظة على الأولاد.

سابعًا: المتعة تشبه الزنى:

يؤكد الشيخ سيد سابق أن المتعة تشبه الزنى من حيث قصد الاستمتاع دون غيره، كما أن المتمتع بها لا يقصد الإحصان دون المسافحة، بل يكون قصده المسافحة..إذ إن الإحصان هو هذا الاختصاص الذي يمنع النفس أن تذهب أي مذهب، فيتصل أي ذكر بأي امرأة، وأي امرأة بأي رجل، إذ لو فعلا ذاك لما كان القصد من هذا إلا المشاركة في سفح الماء الذي تفرزه القطرة إيثارًا

للذة على المصلحة، ثم إن علينا أن نسأل: كيف تصون امرأة نفسها، وهي تؤجر نفسها كل فترة من الزمن فتكون كما قيل:

كرة قذفت بصوالجة

فتلقفها رجل رجل

حيث تنتقل العاهرة من رجل إلى رجل دون أن تستبرئ رحمها، كما أن هذا يعطي الفرصة لهذا الصنف من النساء لممارسة الرذيلة بغطاء شرعي، ومن هنا تكون المفاسد التي تترتب على المتعة مساوية للمفاسد التي تترتب على الزنى، إذا أبيح مثل هذا النوع، وقد وصفت مدينة «مشهد» الشيعية الإيرانية- حيث شاعت ممارسة المتعة- بأنها «المدينة الأكثر انحلالًا على الصعيد الأخلاقي في آسيا».

إن فتح باب المتعة يجعل كثيرًا من الناس يكتفون في قضاء حاجاتهم الجنسية بالمتعة، وينصرفون عن الزواج المطلوب بما فيه من تبعات وتكاليف، وإقامة العلاقة بين الرجل والمرأة على مجرد الاستمتاع دون إرادة الولد أو السكن والاستقرار، وفيه إهدار لكرامة الرجل والمرأة على حد سواء.

---

(1) صحيح البخاري - كتاب التفسير - باب «ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة».

(2) صحيح الإمام مسلم- باب نكاح المتعة.

(3) رواه البخاري.

(4) سنن البيهقي.

(5) رواه البخاري.

(6) رواه البخاري.

الشباب والإضراب عن الزواج

نجد كثيرًا من الشباب - ذكورًا وإناثًا- في عصرنا الحالي يضربون عن الزواج تحت حجج واهية منها أنه يقيد الحرية، ويحمل مسئولية، ومنها عدم قدرتهم على تكاليفه، وهكذا هم ينظرون تحت أقدامهم، ولا ينظرون إلى فوائد الزواج المبكر. إن الشريعة الإسلامية لم تحدد سنًّا معينة لإتمام عقد الزواج، بل أجاز جمهور الفقهاء المتقدمون زواج الصغير والصغيرة أي دون البلوغ، ولكن قوانين الأحوال الشخصية في البلاد الإسلامية حددت سنًّا للزواج. ونعني بالزواج المبكر الزواج بمجرد أن تتاح فرصة الزواج بتوافر مقوماته النفسية والعقلية والجسمانية والمالية.

إن الإسلام دين الواقعية لم ينظر يومًا إلى رابطة الزوجية أو إلى الاحتياجات الجسدية للإنسان نظرة تحقير، أو أنها تخالف الاحتياجات الروحية، لكن العكس، فإن الزواج مطلب ديني لا يصح تأجيله إلا لسبب مقبول.

يعتبر الزواج المبكر من الاتجاهات المميزة في مجتمعنا الإسلامي المحافظ، وهذا يعود لعدة أسباب منها الإنجاب وهو من الأمور المميزة جدًّا في مجتمعنا الشرقي الإسلامي، وقد تنشأ بيوت وتستمر عامرة بهذا الفعل وتهدم أخرى نتيجة عدم الإنجاب، لذلك كانت هناك- ولا تزال- دعوات للإنجاب في سن مبكرة، وإن ممارسة الجنس خارج نظام الزواج مرفوض دينيًّا واجتماعيًّا؛ لذا فإن الزواج يعتبر الضوء الأخضر الوحيد للجنس، ويعتبر الزواج المبكر حلًّا أساسيًّا لمشكلة اقتصادية خاصة إذا كان رب الأسرة يعاني العوز والفاقة والحرمان وله بنات كثيرات.

إن البلوغ المبكر والتركيز على الشهوة عند الشرقيين دافعان من دوافع الزواج المبكر.

فبالزواج المبكر يبتعد الشباب عن الوقوع في الفواحش والمنكرات التي حرمها الله عز وجل، فإن الشاب تتهيج غريزته مع فوران شبابه وطيشه، فيكون عندها على خطر مقحم بل على استعدادٍ أن يقع في شباك الرذيلة والدعارة -إلا من رحم الله- فإذا تزوج أمن بإذن الله من ذلك ونجا بنفسه.

قال رسول الله ﷺ: **«من تزوج فقد استكمل نصف الإيمان فليتق الله في النصف الباقي»**(7).

فاليوم كثرت المغريات والمثيرات؛ فصور تثير الغرائز، وأفلام وقصص وأغانٍ تفجر بركان الجنس، وخلوات وخدم وسائقون، فضلًا عن الإنترنت، ومغريات أخرى؛ فالزواج هو الحصن الحصين في تلك الفترة العمرية، والرادع للفرد عن الوقوع في المهلكات.

والزواج يجلب المال والرزق الحلال، قد تقول وكيف يكون ذلك ومع الزواج تزداد المصاريف والنفقات، مأكل ومشرب وإيجار منزل، وغير ذلك، قال الله : **﴿وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (23)﴾ [النور: 32].**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى الله عَوْنُهُمْ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ الله، وَالمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الْأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ»**[(8)].

وبالإجمال، فللزواج فوائد عديدة أولها غض البصر وإحصان الفرج والتعفف عن الحرام؛ فضلًا عن حصول السكن والاستقرار النفسي والعاطفي، وإشاعة الفضيلة والحد من الرذيلة في المجتمع. ففي الزواج وقاية المجتمع المسلم من مسببات تسعير الشهوات، وفي الزواج غض للبصر عن المحرمات وتحصين للفروج، وحماية المجتمع من اختلاط الأنساب والتفكك الأسري، وانتشار الأمراض الجنسية، وأمراض الشواذ، وحماية للمجتمع من الانقراض بقلة عدد السكان، وحماية للمجتمعات من انتشار أمراض الشيخوخة المترتبة على زيادة نسبة كبار السن والعجائز وحماية للمجتمع من العنوسة وأمراضها الكثيرة.

وفي الحديث حث على استثمار فترة الشباب في تكوين الأسرة، والطاعات، وحفظ للقوى من الهدر (أغض للبصر، أحصن للفرج، له وجاء)، وفي الحديث دعوة للجد والعمل، فعندما يعلم الشاب أنه مطالب بتكوين الأسرة عمل واجتهد من أجل ذلك، وبذلك يستثمر العبد شبابه وقوته، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظه: **«اغتنم خمسًا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك»**[(9)].

عَن ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ الله عَنْهُمَا- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنْ النَّاسِ الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»**[(10)]، وقالت حفصة بنت سيرين: (ما العمل إلا في الشباب).

(7) صحيح وضعيف، الجامع رقم 11093، تحقيق الألباني: (حسن) انظر حديث رقم: 6148 في صحيح الجامع.

(8) سنن الترمذي، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، صحيح الجامع: 3050

(9) المستدرك رقم 7846، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(10) البخاري رقم 5933.

الشباب والعنوسة

وهي ظاهرة خطيرة، بدت بوادرها في مجتمعاتنا الإسلامية، وهي ناشئة من تصرف خاطئ لبعض الأولياء، وهي أن تبلغ البنت وتتخطى السن المناسبة للزواج دون أن تتزوج، هذه الظاهرة ترجع لعدة أسباب، منها:

1- المفاهيم الخاطئة:

حيث تخدع الفتاة، فتقول: لا أريد أن أتزوج حتى أكمل دراستي! أو حتى أحقق ذاتي، وهذا يرجع في كثير من الأحيان إلى الغزو الفكري عن طريق المجلات الوافدة والقصص والأفلام التي تحذر من الزواج المبكر، حتى إذا تقدمت بالفتاة السن؛ عزف عنها من تريد، وعزفت عمن يريدها.

وكذلك الشباب فعزوف الشباب عن الزواج وتسويفهم له يكونان لارتباطهم بعلاقات أو رغبتهم في الحرية وعدم الالتزام بالمسئولية أو غير ذلك من القناعات الفكرية التي لا تسوغ شرعًا. وأيضًا تأجيل أهل المرأة تزويج البنت لأسباب واهية ومبررات غير مقنعة كسن الفتاة وتعليمها أو حصولها على وظيفة ودعمها أسرتها ماديًّا، مما يكون سببًا في عنوسة الفتاة، وكذلك امتناع بعض الفتيات عن الزواج لمفاهيم خاطئة وأفكار مثالية سعيًا وراء الأمل المنشود وفارس الأحلام- كل ذلك خيال قلَّما يتحقق في الواقع، والواجب على الفتاة عند خطبتها التعقل والمشاورة والاستخارة والموازنة بين المصالح والمفاسد والتركيز على توافر صفة الدين والخلق في الشاب.

ويأتي هنا دور الإعلام الفاسد المتأثر بنظريات الغرب ومبادئه الذي يبث لأبناء المسلمين أنماطًا اجتماعية بعيدة عن روح الإسلام وآدابه، مما يجعل الفتى والفتاة ينساقان وراء العلاقات غير الشرعية والأماني الكاذبة.

وهناك مفهوم خاطئ لا يمُتُّ للإسلام وأهله بصلة ينتشر عند بعض الفتيات، وهو أن الزواج لا يكون ناجحًا إلا إذا سبقه حب بين الطرفين، مما يستدعي إقامة علاقة لفترة طويلة يتعرف كل واحد فيها على الآخر، ويفهم شخصيته ويقع في شراك حبه، ولا شك أن هذه العادة محرمة في الشرع، وكثير من هذه العلاقات باء بالفشل بعد أن اطلع كل واحد على عيوب الآخر، وقد يستغل ذلك ضعاف القلوب فيعبثون في أعراض بنات المسلمين ومشاعرهم تحت غطاء الخطوبة المزعومة ثم ينسحب أحدهم بكل وقاحة وقد أثر على سمعة البنت ونفسيتها، وهي أمور ملاحظة في واقعنا.

لقد تغيرت عند الفتاة مفاهيم الحياة، فصارت تعيش تناقضًا بين اهتماماتها واهتمام الأهل، حيث «إنها تمضي سنوات أطول في التعليم، وتكتسب بعض الاتجاهات المتحررة نسبيًّا عن الثقافة التقليدية»، كما أن دخولها العمل الوظيفي يجعلها تتعنت في مسألة الزواج، وتؤخرها بسبب حبها

للعمل، فكفايتها المالية تدعها تستخف بكل خاطب، وهنا يكمن السبب الاجتماعي في تعطيل الزواج.

2- رد كفء البنت:

وهو صاحب الدين؛ بناء على مقاييس ليست من الدين؛ كالجاه، والمال، والقرابة، والوظيفة؛ وقد لا يأتي أحد هؤلاء، فيُطلب انتظاره، وقد يأتي من فيه إحدى الصفات التي حددوها، ومن ثم يوافق عليه، فيتزوج، ثم لا تستقيم الأحوال، فترجع إلى بيت أهلها مطلقة.

3- غلاء المهور:

تبين الدراسات الميدانية والأبحاث التي درست أسباب العزوف عن الزواج في واقع الناس، أن السبب المتصدر لذلك هو «المغالاة في المهور».

فقد يتعنت بعض الأولياء ويطلبون مستحيلًا، في الصفات أو الأحوال، أو غير ذلك من مستلزمات الزواج، من مهر وأثاث ومؤخر وغير ذلك، وهذه عقبة كئود، جعلت كثيرًا من الفتيات مخدرات في البيوت، كما أن كثيرًا من الشباب عزف عن الزواج بسبب ذلك العنت؛ فخير الأزواج عند ذلك الولي هو من يدفع أكثر، مهما كان التزامه، ومهما كانت أخلاقه، حتى صار الزواج عند بعض الشباب من الأمور المستحيلة أو الشاقة؛ إلا بديون تثقل كاهل الشباب، ولا يجد لها وفاءً.

والضحية هي تلك البنت التي لا زوج لها، والتي قد تصبح هشيمًا، قبل أن يأتي من يقطفها.

فغلاء المهور خلاف ما شرعه الله من تخفيفها، فعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«أَعْظَمُ النِّسَاءِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُنَّ مَئُونَةً»**(11).

وتزوجت امرأة بنعلين فأجاز النبي ﷺ نكاحها، وقال لرجل: التمس ولو خاتمًا من حديد، فالتمس فلم يجد شيئًا، وزوج رجلًا امرأة بما معه من القرآن(12).

فالناس يغالون في المهور لمقاصد مذمومة، إما متاجرة وطلبًا للمال أو مفاخرة وطلبًا للرياء، أو مجاراة للأعراف واتباعًا لرأي النساء، فينبغي على الأولياء التيسير في ذلك وعدم إثقال كاهل الزوج وإشغال ذمته بالديون.

4- طمع ولي الأمر:

وقد يعود الأمر إلى طمع هذا الولي في مال ابنته أو أخته إن كانت ذات مال؛ كأن تكون موظفة مثلًا، فيعلم أنها إذا تزوجت فقد ذلك المال؛ لذلك نسمع أحيانًا من يزوج ابنته ويشترط جزءًا من مرتبها.

وهذا محرم نهى الشرع عنه، قال تعالى **﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: 232].**

ومن المعلوم أن حبس النساء عن الزواج أو تأخيره سبب في فشو الجرائم الأخلاقية وانتشارها، وأمثال هؤلاء يجب أن يحذروا قول الله : **فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (29) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (39)﴾ [الحجر:92، 93]** وقوله : **﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**

(13)﴾ [النجم: 31]، وبادروا إلى تزويج بناتكم وأبنائكم مقتدين بنبيكم ﷺ وصحابته الكرام والسائرين على هديهم وطريقتهم، وأوصيكم بتقليل مؤن الزواج وعدم المغالاة في المهور، واقتصدوا في تكاليف الزواج واجتهدوا في اختيار الأزواج الصالحين الأتقياء ذوي الأمانة والعفة.

5 - انتشار البطالة بين شباب المسلمين:

قلة الفرص الوظيفية أو ضعف الدخل لدى الشاب العامل، مما يجعله غير قادر على فتح بيت وتكوين أسرة، والمسئول عن هذه المشكلة العظيمة هو الدولة وجهات العمل والشئون الاجتماعية، وينبغي للقطاع الخاص وذوي الغنى واليسار أن يكون لهم حضور في هذا المجال.

(11) الإمام أحمد في مسنده رقم 23966، الحاكم في المستدرك رقم 2731 قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه، تعليق الذهبي في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(12) البخاري رقم 4641.

خلاصة

إن من المقاصد التي يهدف الزواج إلى تحقيقها حفظ النسل، فهو المقصد الأصلي له. وبالنسل يتأسس المجتمع ثم الدولة والأمة، وتقوم الخلافة إعمارًا للأرض، وتتحقق العبادة لله الواحد الأحد، فتكثر ذرية آدم التي تعبد الله، وتدين بدين الإسلام. وبالزواج تتحقق المقاصد التبعية التي تعود على حفظ مقاصد الفرد بالفوائد في الاستجابة لنداء الفطرة في حب الإنسان للنساء والبنين، وبإعفاف الزوجة، وحفظ النفس من مزالق الشيطان.

غير أنه تستجد من حين لآخر معوقات وعراقيل تعوق الشباب عن المضي في طريق الزواج، وإجرائه واقعًا في حياتهم، فأزمة الزواج في العصر الحالي تتدخل فيها عوامل مختلفة؛ منها ما يرجع إلى أسباب نفسية، وأخرى اجتماعية، واقتصادية وغيرها، مما يعود على الشباب بالضرر النفسي، وعلى المجتمع بالنخر في بنيته الداخلية.

فالشباب هو الدعامة الأساسية في بناء المجتمع، وإذا لم يساهم أفراد المجتمع في تسهيل إجراءات الزواج وتحقيق مقاصده، فإن جملة من المفاسد ستظهر. فظروف الحياة تتغير من حين لآخر، وغلاء المعيشة هو الطابع العام للحياة، وتحمل تبعات الزواج لا يقدر عليه إلا ميسور الحال، فكيف ذلك للشباب الذي أنهى الدراسة في سن متأخرة، كما أن دخول معترك العمل يتطلب سنين أخرى، ولا يتحقق إلا بالبحث المستميت أو الهجرة، وكلاهما من العقبات عصية الاقتحام.

الشباب وسوء اختيار الزوج والزوجة

تبهر الفتاة عندما تعلم أن الطبيب أو المهندس أو الضابط تقدم لخطبتها أو أنه ابن فلان أو أنه من عائلة فلان أو أخوه فلان أو يمتلك كذا وكذا، ومستعد لكذا وكذا، يشتري كذا ويقدم كذا، أو أنه خليجي فهو المفتاح السحري لمغارة علي بابا للفتاة ولأسرتها بالكامل، فتقوم مثل هذه الأمور مقام الشروط التي حرص الإسلام على توافرها في الزوج، ونتناساها إلى إشعار آخر، فلا نتحرى عن الرجل ولا عن أخلاقياته وسلوكياته، ونسرع بإتمام الزواج، فإن لم يكن الأمر صفقة رابحة فهي فرصة طيبة، لا يجب أن تضيع، وما هو إلا أن ينكشف الستر، وتسقط الأقنعة، وتبدأ التساؤلات: لماذا تلك المشاكل المستعصية عن الحل؟ ولماذا أحيلت الحياة إلى جحيم؟ ولماذا وقعنا في تلك الخية؟ والجواب ببساطة شديدة: أننا أسأنا الاختيار، وتملكتنا الرغبات، واستبدت بنا الشهوات، فجرفتنا في تيارها بسبب جمال فاتن، أو كثرة مال، أو كبر مكانة لا يكون وراءها حصانة من دين أو خلق، وكذلك الأمر للرجل، فأصبحنا كالذي وضع يده على جزء من الفيل ظنًّا منه أنه الفيل كله.

لقد أكد الإسلام- أول ما أكد- على حسن الاختيار، واعتبره من عوامل تحقيق إسلامية الحياة الزوجية، القائمة على الوفاق والمودة بين الزوجين، فسعادة الأسرة المسلمة واستمرارها تتوقف- بعد توفيق الله سبحانه وتعالى- على حسن اختيار كل من الزوجين للآخر اختيارًا واعيًا قائمًا على مرضاة الله تعالى وتوفيقه، ومن الأسس التي يجب أن تراعى في عملية الاختيار:

-1 **الدين والخلق**: قال النبي ﷺ: **«إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»**. وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله : **﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (62)﴾ [النور: 26]**، وقال تعالى: **﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُونَ (81) ﴾ [السجدة: 18].**

فيجب أن يكون الدين والخلق هما أساس الاختيار الأول من الطرفين، أي يكون هَمُّ الرجل المرأة الصالحة، وأن يكون هَمُّ الفتاة وأوليائها الرجل الصالح، من يرضون دينه وخلقه، وكما قال الشعبي: «من زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها» وجاء في الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«تُنْكَحُ المرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»**(13).

فالمرأة تنكح لهذه الأمور، ولكن ذات الدين في المقام الأول، ولذلك جاء في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا**

المرْأَةُ الصَّالِحَةُ»[(14)](#).

وعن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ قال: «**من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني»**[(15)](#).

فالمسلم يبحث عن المرأة الصالحة كما جاء في الحديث الذي رواه ابن ماجه عَنْ أَبِي أُمَامَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُول: «**مَا اسْتَفَادَ الْمُؤْمِنُ بَعْدَ تَقْوَى الله خَيْرًا لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ صَالِحَةٍ، إِنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْهُ، وَإِنْ نَظَرَ إِلَيْهَا سَرَّتْهُ، وَإِنْ أَقْسَمَ عَلَيْهَا أَبَرَّتْهُ، وَإِنْ غَابَ عَنْهَا نَصَحَتْهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِه»**[(16)](#).

وليس معنى ذلك إهمال الجمال، فالجمال أمر مطلوب، يقول الغزالي رحمه الله: «وليس أمره ﷺ بمراعاة الدين نهيًا عن مراعاة الجمال، ولا أمرًا بالإضراب عنه، وإنما هو نهي عن مراعاته مجردًا عن الدين، فإن الجمال في غالب الأمر يرغب الجاهل في النكاح دون الالتفات إلى الدين، فوقع في النهي عن هذا، لكن الجمال ليس في العيون الزرقاء ولا الخضراء ولا السوداء، ولا العسلية، ولا الكبيرة أو الصغيرة، ولا ذات الرموش الطويلة أو القصيرة، إنما الجمال في العيون التي إذا ما نظرت إليك وأنت غاضب لم تعد غاضبًا».

-2 **النسب لكل من الزوجين**: والنسب طيب الأصل وكرم المنبت، فالإنسان لا يتزوج المرأة فقط، بل يتزوج المرأة ويصاهر أهلها، فيصبح أخوها خالًا لأولاده، وأختها خالة لهم، وأبوها وأمها جدين لهم، يؤثرون فيهم ويتأثرون بهم بطريق مباشر عن طريق اللقاءات والزيارات، أو غير مباشر عن طريق أمهم من خلال كلامها وسلوكها، واستماعها لنصائح أمها وأختها في التعامل مع زوجها وأهله، فالمرأة بنت بيئتها، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ»**[(17)](#).

وعن أبي سعيد الخدري، أن النبي ﷺ قال: «**إياكم وخضراء الدمن**»، فقيل: يا رسول الله، وما خضراء الدمن؟ قال: «**المرأة الحسناء في المنبت السوء»**[(18)](#).

فُسِّر قولُ رسول الله ﷺ «**خضراء الدمن**» بالمرأة الحسناء في المنبت السوء، شكلها جميل ولكن أخلاقها رديئة، فالإنسان لا يعجبه مجرد المظهر، فلابد أن يبحث عن الأصل؛ لأن صاحب الأصل الطيب أعون على استدامة الحياة الزوجية وأقرب إلى طيب العشرة، وإذا أحب أكرم وإذا أبغض لا يظلم.

إذنْ؛ فالاختيار الصحيح الذي سياجه الدين والخلق والأصل الكريم، عاصم من قواصم المشاكل الزوجية، فلا أمان لمن لا إيمان له، ولا دين لمن لا يحمي دينًا.

-3 **البكارة**: والبكر هي التي لم يسبق لها أن تزوجت، وقد بين النبي ﷺ سبب اختيار الزوجة البكر حين قَالَ: «**عَلَيْكُمْ بِالْأَبْكَارِ، فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهًا، وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا، وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ»**[(19)](#).

وقال النبي ﷺ لجابر عندما تزوج ثيبًا: «**هلَّا بكرًا تداعبها وتداعبك، أو تلاعبها وتلاعبك، أو تضاحكها وتضاحكك**»(20).

وقد مدح الله الأبكار وجعل هذه الصفة من صفات نساء الجنة، قال تعالى: **﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (53) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (63)﴾ [الواقعة: 35، 36].**

فالبكر تحب الزوج وتألفه أكثر من الثيب، وهذه طبيعة جُبِل الإنسان عليها؛ أعني الأنس بأول مألوف، ولعل قول النبي ﷺ أرضى بالقليل، ويعني به الجماع، فالزوجة في بداية حياتها الزوجية لا تعرف عن الجنس شيئًا فيكفيها ما يكفي زوجها، أما غير البكر فإنها جربت الجنس وعرفته، والرجال في هذا متفاوتون وقدراتهم متغيرة، بالإضافة إلى الطريقة أو النمط الذي تكون قد اعتادت عليه، فإما أن تحاوله مع زوجها، وهذا قد لا يرضيه فيحزنه الأمر، وإلا يظلُّ هذا الأمر عالقًا بذهنها ولا تحصل عليه مع زوجها فيحزنها.

يقول الغزالي -رحمه الله-: في البكر خواص لا توجد في الثيب، منها: أنها لا تحن أبدًا إلا للزوج الأول، وآكد الحب ما يقع في الحبيب الأول. ومنها إقبال الرجل عليها، وعدم نفوره منها، فإن طبع الإنسان النفور عن التي مسَّها غيره ويثقل عليه ذلك.

ومنها: أنها ترضى في الغالب بجميع أحوال الزوج؛ لأنها أنست به ولم تر غيره، وأما التي اختبرت الرجال ومارست معهم الأحوال، فربما لا ترضى بعض الأوصاف التي تخالف ما ألفته.

-4 **الولود**، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا؟ قَالَ: «**لَا**»، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ**»(21).

الودود التي تحب زوجها وليست نكدية، والولود تعرف من أقاربها: أمها، وعمتها، وخالتها وهكذا. أما الزواج من العقيم فهو نزوة عابرة أو مصلحة مؤقتة وسرور بزواج من غير تبعات.

-5 **الكفاءة**: ويقصد بها أن تقارب حال الرجل حال المرأة في عدة وجوه، منها الثقافة والتعليم، ومنها الناحية الاجتماعية والمالية، ومنها السن، فعدم تكافؤ الزوجين من حيث الوعي والتعليم والمفاهيم يعمِّق الفجوة ويضاعف مسافات البعد في الرؤية والفهم، وذلك نتيجة للحصيلة الثقافية والتعليمية التي تخلق صورًا مختلفة لتفسير الأمر وفهمه؛ مما يضاعف من حجم المشكلة ووزنها وأبعادها، ويخلق من المسائل العادية مشاكل كبرى، كل ذلك بسبب سوء الفهم أو عدم القدرة على التقييم السليم أو قصور النضج في الاستيعاب والتعبير.

كأن يتزوج مثلًا رجل أمي فتاة جامعية مثقفة، فلا مُشاحَّة أن ضروبًا من الخلافات في وجهات النظر ستنشب بينهما. كذلك الأمر فإنه يجب أن يكون هناك تكافؤ بين الزوجين في الناحية الاجتماعية والمالية، فليس من المناسب مثلًا أن يتزوج كناس بنتًا من طبقة أرستقراطية غنية، اعتادت على بذخ من العيش، وهو ما لا يستطيع أن يوفره لها ذلك الكناس، أو اعتادت على نمط

معيشة لا يرضى عنه أمثال هذا الرجل، ولعل ما حدث لأم المؤمنين زينب بنت جحش شاهد على ما نقول؛ فقد تأذت من العيش مع زيد بن حارثة، حيث كانت تفوقه في المكانة الاجتماعية.

كذلك الأمر بالنسبة للسن، فمما يدعو إليه الإسلام أن تكون المرأة صغيرة عن الزوج، ففارق السن المناسب يجعل الزواج أكثر استقرارًا وثباتًا، بحيث يجعل المرأة تقدر زوجها أكثر، وتنظر إليه نظرة احترام وتقدير؛ لأنه الأكبر والأكثر خبرة، وهكذا تسير السفينة بربان واحد وسط أمواج الحياة الهادرة، وينشأ الأطفال في جو طبيعي، لكن يجب ألا تكون صغيرة صغرًا مفرطًا، فالمقصود عدم الزواج بالصغيرة صغرًا يظهر فيه الفرق الشاسع في العمر، كمن يكون عمره فوق الخمسين، فيتزوج بنتًا دون الخامسة عشرة؛ لما قد يؤدي إليه من محاذير ومساوئ كثيرة، خاصة في هذا الزمان الذي ضعف فيه الوازع الديني عند الكثيرين.

قال ابن قيم الجوزية - رحمه الله-: «وأبله البله الشيخ الذي يطلب صبية، ولعمر الحق إن كمال المتعة إنما يكون بالصبا، ومتى لم تكن الصبية بالغة، لم يكمل بها الاستمتاع! فإذا بلغت أرادت كثرة الجماع، والشيخ لا يقدر! فإن حمل على نفسه، لم يبلغ مرادها وهلك سريعًا».

والكفاءة في الزواج من حق الزوجة وأوليائها، قال رسول الله ﷺ: **«تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم»**(22).

والكفاءة وإن لم تكن شرطًا في صحة النكاح لكنها مطلوبة ومقررة؛ ضمانًا لاستقامة الحياة الزوجية بين الزوجين، وعنصر الكفاءة ليس بابًا من أبواب الطبقية، ولا نوعًا من أنواع التعالي والاستكبار، وإنما هو تنظيم أريد به حماية الأسرة من عدم الرضا بين أفرادها، ومن ضعف التلاحم بين أعضائها، كما أريد به مراعاة حق المرأة في الزوج الذي تطمئن إليه، وحق الولي في رجل يعتمد عليه، ويثق به، وحق المجتمع في أسرة تمده بالحب عن رضا، وبالتكافل عن قوة.

وسئل أعرابي عن النساء، فقال: «أفضل النساء أطولهنَّ إذا قامت، وأعظمهنَّ إذا قعدت، وأصدقهنَّ إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئًا جوَّدت، التي تطيع زوجها وتلزم بيتها، العزيزة في قومها، الذليلة في نفسها، الودود الولود، التي كل أمرها محمود»(23).

ويروى أن العجفاء بنت علقمة السعدي وثلاث نسوة من قومها خرجن، فتواعدن بروضة يتحدثن فيها، فوافين بها ليلًا في قمر زاهر وليلة طلقة ساكنة، وروضة معشبة خصبة، فلما جلسن قلن: ما رأينا كالليلة ليلة، ولا كهذه الروضة روضة، أطيب ريحًا ولا أنضر، ثم أفضن في الحديث فقلن: أي النساء أفضل؟ قالت إحداهنَّ: الخرود الودود الولود، وقالت الأخرى: خيرهنَّ ذات الغناء، وطيب الثناء، وشدة الحياء، وقالت الثالثة: خيرهنَّ السموع الجموع النقوع غير المنوع، وقالت الرابعة: خيرهنَّ الجامعة(24).

ومن الصفات الحسنة في الزوجة ما ذكرته عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - عندما سئلت أي النساء أفضل؟ فقالت: «التي لا تعرف عيب المقال، ولا تهتدي لمكر الرجال، فارغة القلب إلا من الزينة لبعلها، ولإبقاء الصيانة على أهلها» (25).

أمور ينبغي الحذر منها:

◆ المبالغة في التجمل:

قد يبالغ أحد الطرفين أو كلاهما في التجمل والتصنع أثناء فترة الخطوبة - خاصة إذا كانت قصيرة - وفي بداية الحياة الزوجية، حيث يحرص أحدهما أو كلاهما على الظهور أمام الآخر بالصورة المثلى، مع محاولة إثبات أن تلك الصورة التي يظهر بها هي حقيقته الدائمة، اللباقة فلا تسمع إلا ما يسعد القلب، والجمال فلا ترى إلا ما يرضي العين، واللياقة حيث يقدمها على نفسه دائمًا، ويلاحقها بنظراته وابتساماته، ويخاف عليها من كل شيء، ويغار عليها من أي شخص، وهي بدورها لا تقل عنه حرصًا على ذلك، فتجده على قمة اهتماماتها، تلك الصورة هي ما يتمناها كلاهما بعد الزواج، بل لا نبالغ إذا قلنا ما يتوقعانه، وهما معذوران فليس لديهما من الخبرة الحياتية ما يثبت خلاف ما يحلمان به، كما أن المقدمات الفعلية من كليهما تشير إلى بلوغ ذلك.

ولذلك فإننا ندعو الشباب إلى التخفف من مظاهر التصنع، وأن يكون على طبيعته أمام الآخر، حتى لا يصدم فيه بعد الزواج، حين لا يستطيع مداومة ذلك التصنع، وأن يلتزم الصدق في كلامه وفعله، وأن يراعي الله في سلوكه.

◆ الكذب:

وهو موجود في حياة الإنسان بشكل أو بآخر وبمختلف درجاته، وفي بعض الأحيان يكذب الإنسان بغرض الإصلاح، كما أن الحياة الزوجية لا تخلو من وجود حالات من الكذب، سواء من جانب الزوج أو الزوجة، ولكن الذي نعنيه بالتحديد هو الكذب المزمن الذي قد تبدأ الحياة الزوجية به، فالمشكلة الأخطر التي تكمن وراء الكذب المزمن بين الأزواج هي أنه يترتب عليه كذب آخر وهكذا، فيصبح مثل كرة الثلج كلما تدحرجت كبر حجمها، ومن الطريف أن هناك اعتقادًا شائعًا يشير إلى أن المرأة أكثر كذبًا من الرجل، لكن الواقع يدل على أن هذه الصفة يشترك فيها الطرفان معًا.

ومن هنا يجب على كلا الزوجين تحري الصدق قدر المستطاع مع الطرف الآخر، ونحذر كليهما من اللجوء إليه خوفًا من التعرض للازدراء أو اللوم أو الحط من الشأن أمام الآخر، فإن مثل تلك الأمور يجب أن تكون مستبعدة بين الزوجين، فالعلاقة الزوجية علاقة مودة ورحمة عنوانها هو التسامح والعفو، والتماس العذر للآخر، فالصدق منجاة كما قال رسول الله ﷺ.

◆ الشك:

وهو مشكلة مرتبطة بشكل كبير بالكذب؛ حيث إدمان الكذب يدفع الزوجين إلى الشك في كل أقوال وأفعال الآخر، فكثيرًا ما تسبب الشك في انهيار الأسر، فالشك دائمًا ما يؤدي إلى وقوع الطلاق، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم ما يحضنا على تحري الحقيقة قبل اتخاذ قرار نندم عليه، إذا اكتشفنا لاحقًا أننا أخطأنا في التقدير، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)﴾ [الحجرات: 6].**

---

(13) متفق عليه.

(14) رواه مسلم.

(15) الحاكم في المستدرك رقم 2681، قال: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه وعبد الرحمن هذا هو ابن زيد بن عقبة الأزرق، مدني ثقة مأمون. تعليق الذهبي في التلخيص: صحيح.

(16) ابن ماجه في سننه رقم 1847.

(17) ابن ماجه في سننه رقم 1958.

(18) الشهاب القضاعي في مسنده رقم 890.

(19) ابن ماجه في سننه رقم 1851.

(20) رواه البخاري.

(21) أبو داود في سننه رقم 1754.

(22) راجع صحيح الجامع الصغير للألباني رقم 1067.

(23) أخبار النساء لابن الجوزي.

(24) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري.

(25) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للراغب الأصفهاني.

الشباب والخلوة

نلاحظ في زمننا ما يفصمنا عن كل ما هو إسلامي صحيح؛ من مسلسلات وأفلام وبرامج، كتب وترجمات، أفكار هدَّامة لقيم ومبادئ وأخلاقيات الإسلام، حتى أصبح الناس وكثير من المسلمين لا يتحرجون من الخلوة بالأجنبية، ولا يرون في ذلك بأسًا، بل ويجادل ويتذرّع بحجج كثيرة، مع أن الشارع الحكيم نهى عن كل ما من شأنه أن يفتح باب الفتنة بين الرجال والنساء، وأمر بسد الذرائع المفضية إلى ذلك الباب؛ فأمر بغض البصر، ونهى عن الخلوة بالأجنبية ومصافحتها، فالواجب على المسلم أن يمتثل أمر الله تعالى، وأن يغض بصره، ويتجنب الخلوة بالأجنبية ومصافحتها امتثالًا لأمر الله تعالى، وخوفًا من الوقوع فيما هو أعظم.

والأجنبية هي من ليست زوجة ولا محرمًا، والمحرم من يحرم نكاحها على التأبيد، إما بالقرابة، أو الرضاعة، أو المصاهرة، ويحرم على الرجل الخلوة بها، والأصل في ذلك قول النبي ﷺ: **«لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم»**[26]. وقد اتفق الفقهاء على أن الخلوة بالأجنبية محرمة. وقالوا: لا يخلون رجل بامرأة ليست منه بمحرم، ولا زوجة، بل أجنبية؛ لأن الشيطان يوسوس لهما في الخلوة بفعل ما لا يحل، قال ﷺ: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان»[27].

ولذلك تحرم الخلوة بأجنبية ولو لضرورة علاج إلا مع حضور محرم لها، أو زوج، أو امرأة ثقة على الراجح؛ لأن الخلوة بها مع وجود هؤلاء تمنع وقوع المحظور، وهذا عند المالكية والشافعية والحنابلة. والخلوة المنهي عنها والتي هي مظنة الغلط تكون باجتماع رجل مع امرأة أجنبية في مكان واحد لا يراهما فيه أحد.

أما الاجتماع في الطريق والأماكن العامة كالأسواق ودور العلم ووسائل المواصلات فلا تتحقق به الخلوة المحرمة، وإن تحقق به محظور آخر، كالسفور والنظر إلى المفاتن والكلام اللين والملامسة ونحوها[28].

---

[26] البخاري رقم 4832.

[27] الترمذي رقم 1091.

[28] راجع فتاوى الأزهر (صور من الخلوة بين الجنسين).

الشباب والموضة

إن الاهتمام المتزايد بالموضة والمساحة الكبيرة التي تشغلها في حياة الشباب العربي أصبح ظاهرة أشبه بالهوس، ذلك أن اتباع الموضة تعدى مجرد البحث عن الظهور بشكل جميل ومقبول، وأصبح محور حياة الشباب الذين باتوا في أغلبهم «ضحية للموضة» ينحصر في التسوق وتصفح مجلات الموضة ومشاهدة البرامج التلفزيونية التي تعرض آخر الصيحات والصراعات في مجال التجميل والملابس.

والموضة ليست خاصة باللباس فقط، وإنما هناك موضة في الأكل والشرب باليد اليسرى، كما أن التدخين والمخدرات والمسكرات أصبحت موضة، والتدخين بين الفتيات موضة، نرى فتيات في عمر الزهور من بنات الإسلام يمارسن هذه العادة السيئة.

ومن الموضة وأخطارها زوال الحياء وانعدامه، والبرود الجنسي بسبب كثرة اللقاءات والنظرات، وتفكك الأسرة إذ ربما تعرضت المرأة لخيانة أو العكس بسبب امرأة متبرجة أو العكس، والإعراض عن الزواج، وذلك لأن الرجل سيشك في النساء، كما أنه سيضع مواصفات عالية لخطيبته لكثرة ما يراه من المتبرجات، والزواج العرفي الذي هو ضياع للحقوق، وهدم للمجتمع الإسلامي، ومحو للشخصية الإسلامية، والتقليد الأعمى للكفرة والأعداء.

إن السعي لملاحقة الموضة قضية اجتماعية خطيرة، تواجه المجتمعات الإسلامية في ظل ظروفها الاقتصادية والاجتماعية المتردية.

والنفس البشرية تتوق دائمًا إلى الجمال وتعجب به؛ فالجمال هبة من الله يهبها لمن يشاء من عباده، وقد أخبر النبي ﷺ بأن الجمال صفة من صفات الله فقال: «**إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**»، بكل ما تحمل كلمة جمال من معنى. وقد أمر الله عباده بالتزين والتجمُّل في غير إسراف، مع التأكيد على أن لباس التقوى هو الساتر الحقيقي للإنسان، فقال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (62)**﴾ **[الأعراف: 26]**، وقد ورد في تفسير هذه الآية ما يلي: «يمتن - تبارك وتعالى- على عباده بما جعل لهم من اللباس والريش، فاللباس المذكور هاهنا لستر العورات وهي السوآت، والرياش والريش هو ما يتجمل به ظاهرًا، فالأول من الضروريات، والريش من التكملات والزيادات».

وقوله تعالى: ﴿**وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ**﴾ اختلف المفسرون في معناه، فقال بعضهم: هو ما يلبسه المتقون يوم القيامة، وقال آخرون هو الإيمان، وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - هو العمل الصالح، وفي رواية عنه هو السمت الحسن في الوجه، وكل هذه متقاربة.

والمسلم يعمل على الاهتمام بالمظهر الخارجي كل حسب طاقته وقدرته، وكل هذا مباح لا غبار عليه، ما دام لا يتعدى حدود الشريعة، الآمرة بستر العورة للرجال والنساء على السواء، فقد قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (23) ﴾ **[الأعراف: 32].**

لقد أضحت الموضة هوسًا يجتاح العالم، وبلغت من الخطورة شأنًا لا يمكن تجاهله؛ إذ تسعى إلى تحلّل الشاب المسلم والفتاة المسلمة من زيهما وفكرهما وعقيدتهما للقضاء على حصانة المجتمع الإسلامي، وقد استخدمت أساليب شتى، فقد أصبح سائدًا بين كثير من الناس مقولة: «كل على ذوقك والبس على ذوق الناس».. والفكرة الرئيسية في هذا الهوس تعتمد على التقليد الأعمى، ولا سيما بين الشباب والفتيات، وكلما أوغلوا في هذا التقليد أسدلوا عليهم ألقابًا من نوع «فتاة عصرية» و«شاب كاچوال» لحث الآخرين على السير في الدرب نفسه تحت ستار التقدم والعصرية.

وهنا نسأل: لماذا العري؟ ولماذا ضيق الملابس؟ لماذا تلبس المرأة لبس الرجل؟ ولماذا يلبس الرجل لبس النساء؟ ألسنا نرى الكثيرات من فتياتنا يلبسون ما يسمى البنطلون، ويخرجن به إلى الشارع والجامعة؟! ونرى الشباب يلبسون ما يسمى السلسلة والإنسيال، وهذه الأشياء من زينة النساء! ألم تعلموا أن الله لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال؟ فعن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **«لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة، والمرأة تلبس لبسة الرجل»**(29).

وعن العري والسفور ماذا نقول؟ متى كان الجمال أو التحضر في العري وكشف العورات؟ أين العقول؟ أين الدين والعفة والحياء.. فقد قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (62)﴾ **[الأعراف: 26].**

التأنق مطلوب، والاهتمام بالمظهر شيء جميل، ولكن إذا كان في إطار شرعنا الحنيف وفي إطار عاداتنا وتقاليدنا مع عدم الإفراط والإسراف؛ لأن هذا حـرام قد نهانا الله تعالى عنـه، فقـد قـال: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (13) ﴾ **[الأعراف: 31]** وفي الطعام والشراب يقول النبي ﷺ فيما يرويه البخاري عن عمر بن أبي سلمة، يقول: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة (الإناء) فقال لي رسول الله ﷺ: «**يا غلام، سمِّ الله وكل بيمينك وكل مما يليك**»، فما زلت تلك طعمتي بعد(30).

وفي التدخين وما شابه يقول الصادق الأمين ﷺ : **«لا ضرر ولا ضرار»**(31).

وأذكر هنا بعض أضرار التدخين:

السرطان وارتفاع ضغط الدم وضيق الأوعية الدموية تحت الجلد وضيق الشعيبات الهوائية، والسعال، والسكتة الدماغية، والإجهاض، وسرطان عنق الرحم، ومتاعب كثيرة بالحمل والدورة الشهرية، ولين العظام، ولادة

الأطفال ناقصي العمر، وأمراض القلب الوعائية، مثل زيادة ضربات القلب، وسرطان الرئتين وتصل النسبة إلى 40٪ بين المدخنين والمدخنات.

أما موضة الكلام والسلوك، فمنها عقوق الوالدين وأحيانًا احتقارهما أو سبهما، وسب الدين، وعدم الاهتمام بالفرائض والسنن، والاستهزاء بالصالحين من عباد الله، والتسكع في الطرقات والفجور وجرأة الفتيات، ومشاهده الأفلام الجنسية والدعوة لذلك، والفحش وبذاءة اللسان والمنابزة بالألقاب.أيها الشباب وأيتها الفتيات، لا عز لكم إلا بالإسلام، ولا جمال لكم إلا بالأخلاق الفاضلة، ولا مكان لكم في ساحة العالم إلا بالعمل الجاد والكفاح المتواصل من أجل وطنكم ودينكم، فلا تجرفنكم التيارات الغربية الصهيونية التي تريد هلاككم؛ قال الله تعالى: **﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ (021)﴾ [البقرة: 120].**

---

(29) رواه أبو داود والحاكم في المستدرك.

(30) فتح الباري، شرح صحيح البخاري.

(31) أحمد وابن ماجه .

الشباب والتبرج

ظاهرة التبرج ظاهرة مستشرية في الأمة الإسلامية، إننا كثيرًا ما نسير في الطرق العامة والأسواق، فنرى ما يدمي قلوبنا ويملؤها بالحسرة، ولم يعد التبرج مجرد كشف الوجه أو اليدين أو الرجلين أو غيرها، بل تعداه إلى صور أخرى مختلفة مع أن أخطر ما في القضية هو كشف الوجه، فهو أول الطريق نحو الفساد والدمار.

لقد بدأ الأمر بكشف الوجه، ثم تطور إلى الرأس، ثم إلى الذراعين، ثم إلى الساقين، ثم إلى الصدر والظهر، ثم فلت الحبل، وأصبحنا الآن في هرج ومرج لا نستطيع في بلاد الإسلام -في كثير من الأحيان- أن نميز بين المسلمين وغيرهم من الغربيين.

إن التبرج معصية لله ورسوله، فعن ابن مسعود أن نبي الله «كان يكره عشر خصال»، وذكر منها: «التبرج بالزينة لغير محلها»، بل إن التبرج من الموبقات في الدنيا والآخرة، فقد جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله تبايعه على الإسلام فقال: **«أبايعك على ألا تشركي بالله، ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي، ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الأولى».**

ويجلب التبرج لصاحبته اللعن والطرد من رحمة الله، فعن عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: **«يكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات على رءوسهن كأسنمة البخت العنوهن فإنهن ملعونات»**. والتبرج أيضًا صفة من صفات أهل النار **«صنفان من أهل النار لم أرهما. قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»**[(32)].

والتبرج هو كل زينة أو تجمل تقصد المرأة بإظهاره أن تحلو في أعين الأجانب، حتى القناع الذي تستتر به المرأة إن كان من الألوان البارقة، والشكل الجذاب لكي تلذ به أعين الناظرين، فهو من مظاهر تبرج الجاهلية الأولى، وقد ترتدي إحداهن فستانًا طويلًا ولكنه منقوش ومزين يلفت أنظار الناس، أو ترتدي فستانًا آخر يحدد من شكل صدرها وخصرها، والمصيبة العظمى في وجود الفتحات في اليمين أو اليسار أو الخلف، والمصيبة الأعظم من ذلك أنها تظن بأنها متحجبة، وصدق الله العظيم: **﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلاَ تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8)﴾ [فاطر: 8]**، ومن أمثلة ذلك حجاب يغطي جميع أجزاء جسم المرأة بما

في ذلك الوجه، ولكنه ضيق وقصير ويبدي قدمي المرأة وأسفل ما فيها، وقد تقوم المرأة بتغطيته، ولكن بجوارب رقيقة وشفافة ومن نفس لون الجسم.

ومن صور التبرج خروج النساء متعطرات أو قيام البعض منهن بتعطير ضيفتها أو بتبخيرها إكرامًا لها، وهذا محرم ولا يجوز؛ لأن النبي ﷺ قال: **«أيما امرأة استعطرت ثم خرجت فوجد الناس ريحها فهي كذا وكذا»** يعني أنها في حكم الزانية؛ لأنها سمحت للرجال بالتمتع برائحتها.

والتَّعطر مباح للمرأة إن كان في بيتها، أو بين النساء، أما إن وضعته وخرجت لقصد أن يَشُمَّ الرجال الأجانب شَذَى عِطْرِها صار حرامًا، وتأثم على فعلها، لما في ذلك من افتتان الرجال بها، وأما الرجل إذا تعطر وخرج فلا تحصل الفتنة به، مثلما تحصل بالمرأة المتعطِّرة، ولو فرضْنَا أنَّ الرجل تَحْصُل به فتنةٌ إذا خرج متعطرًا كما لو كان أمردَ جميلًا، يُفْتَنُ به حتى الرجال، فإنَّ عليه حينئذ أن يجْتَنِبَ أسباب الفتنة، ومنها التَّزَيُّن والتعطُّر.

ومن صور التبرج ما تفعله بعض المنافقات من التزام بالحجاب في البيئات المحافظة حتى إذا وجدت فرصة للانفلات استغلتها فورًا، كمثل اللاتي تراهن في المطارات ملتزمات بالحجاب حتى إذا ركبن الطائرة وطارت بهن في الجو، طارت العباءة، وكشف الوجه والشعر وبدأت الزينة، وقد يكون معهن من أشباه الرجال من أوليائهن، ولكنهم لا يحركون ساكنًا، وكأن الأمر لا يعنيهم وصدق الله:﴿ **قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلاَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (51)** ﴾ **[الزمر: 15]**.

ومن صور التبرج الكلام والضحك بصورة مائعة مثيرة، وهو منتشر في الأسواق والمحلات، والهواتف، وبين الشباب والشابات، وكأن الله لم يقل لهن:﴿ **فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ** ﴾ **[الأحزاب:32]**، فأما الكلام العارض لحاجة فلا بأس به إذا سلم من المفسدة ولكن بقدر الضرورة.

ملابس عليها عبارات بلغات غير عربية:

نجد كثيرًا من البنات والسيدات والشباب بل الرجال يرتدون ملابس عليها كتابات بغير اللغة المعهودة، خاصة على أماكن حساسة من الجسد، كالصدر، والمؤخرة، والواجب أن نسأل عن هذه الكلمات أو الحروف التي كتبت بغير اللغة العربية؛ لأنها قد تكون دالة على معنى فاسد هادم للأخلاق ولا يجوز أن يلبس ما فيه كتابة إنجليزية مما ليس بعربي إلا بعد أن يتأكد الإنسان أنه ليس فيها تعظيم للكفار كاللاعبين والفنانين، فإن كان فيه تعظيم للكفار فإن هذا حرام أيضًا.

ملابس عليها صور:

وهو أمر منتشر الآن أيضًا بين الشباب والفتيات على حد سواء، ولا يجوز للإنسان أن يلبس ثيابًا فيها صورة حيوان أو إنسان، وذلك لأن النبي ﷺ ثبت عنه أنه قال: **«إن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة»**.

التبرج والزواج:

نلاحظ أيضًا في الآونة الأخيرة انتشار فكرة خطأ مؤداها أنه لو لم تظهر الفتاة بمظهر لائق، ولو لم تظهر مفاتن جسدها فإنها لا تتزوج، ولا يقبل الشباب على خطبتها، ومن هنا نجد بعض الأمهات

يأمرن بناتهن بخلع الحجاب، ويخترن لهن الملابس الضيقة، أو الكاشفة التي تظهر مفاتن المرأة فضلًا عن التزين والتعطر.

أما الفتاة فنذكرها بقوله تعالى: **﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)﴾ [العنكبوت: 8]**، وقوله تعالى: **﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (51) ﴾ [لقمان: 15]**.

إن الهدف الأساسي من الحجاب هو المحافظة على عفة الرجال الذين تقع أبصارهم على النساء؛ لأن بلاء الشباب والرجال والمراهقين ناتج عما يرونه من تبرج النساء وفسقهن في كل مكان.

واعلمي أيتها الأم الفاضلة أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، فعَنْ أَبِي حَفْصَةَ قَالَ: قَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ لِابْنِهِ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ اكْتُبْ قَالَ رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ، قَالَ اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ**» يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ «**مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي**»(33).

وأن الله سبحانه وتعالى مقدر الأقدار، فعلينا أن نأخذ بالأسباب، ولكن علينا أن نحرص على أن تكون هذه الأسباب مباحة، وليست حرامًا؟

---

(32) مسلم.

(33) أبو داود في سننه رقم 4078.

الشباب ومحارم المرأة

لقد حدد الله - سبحانه وتعالى - لنا من هم الذين يجوز للمرأة أن تكشف زينتها ووجهها أمامهم كما قال تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (13)﴾ **[النور: 31]**. وهو العم والد الزوج ﴿أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ أو الابن ﴿أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾، ابن الزوج ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ﴾ الأخ ﴿أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ﴾ ابن الأخ ﴿أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ ابن الأخت ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ المسلمات، أما الكافرات فلا ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ العبد المملوك لها ﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ﴾ التابع لأهل البيت من شيخ هرم أصابه الخرف، وعنين، ومعتوه. ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ كالطفل الصغير دون البلوغ ممن لا حاجة له في النساء لعدم الشهوة عنده. ﴿وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. هؤلاء فقط هم الذين يجوز للمرأة أن تظهر بزينتها أمامهم.

الشباب والدياثة

هي ضعف الغيرة لدى الرجال، وقد أخبر النبي ﷺ: **«أن الديوث لا يدخل الجنة ولا يجد ريحها»**.

فالديوث هو الذي يرضى الخبث في أهله ومحارمه، من التبرج والسفور والاختلاط بالرجال وقلة الحياء، والمصيبة أنه على مرأى ومسمع من الأزواج وأولياء الأمور، تنزل المرأة للسوق، وتخرج الابنة إلى المدرسة أو الجامعة وكأنها ذاهبة إلى سهرة في كازينو، تقلد الغربيات في لبسها، ومشيها، وحركاتها، وكلامها، فأين غيرة الأزواج، وحرمة أولياء الأمور على محارمهم؟

التشبه بين الجنسين

لقد وصل الأمر في بعض المجتمعات العربية والإسلامية إلى أنك لا تستطيع بسهولة التمييز بين الرجال والنساء، أو لنقل بين الفتى والفتاة، فاللباس واحد، في غالب الأحيان، البنطلون الجينز، والـ «تي - شيرت»، والشعر الطويل، والتنميق للحواجب، والمشية، وطريقة الكلام واحدة، أو تكاد تكون في كثير من الأحيان.

روى البخاري وغيره عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: «لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال».

وعن أبي هريرة قال: «لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل»(34).

يؤخذ من هذه الأحاديث تحريم تشبه أحد من الجنسين بالجنس الآخر، والتَّشبُّه يكون في اللّباس والحركات والسّكنات والتّصنّع بالأعضاء والأصوات، ومثال ذلك: تشبّه الرّجال بالنّساء في اللّباس والزّينة الّتي تختصّ بالنّساء، مثل لبس القلائد والمخانق والأسورة والخلاخل والقرط ونحو ذلك ممّا ليس للرجال لبسه.

وكذلك التّشبّه بهنّ في الأفعال الّتي هي مخصوصة بها كالانخناث في الأجسام والتّأنّث في الكلام والمشي، كذلك تشبّه النّساء بالرّجال في زيّهم أو مشيهم أو رفع صوتهم أو غير ذلك.

وتتحقق الحرمة بأمرين:

أولهما: أن يكون التشبه مقصودًا، بأن يتعمد الرجل فعل ما يكون من شأن النساء، وأن تتعمد المرأة فعل ما يكون من شأن الرجال.

وثانيهما: أن يكون التشبه في شيء هو من خصائص الجنس الآخر، والذي يحدد ذلك إما أن يكون هو الدين، وإما أن يكون هو الطبع نفسه، أي الجبلة التي خُلق عليها الإنسان، وإما أن يكون هو العرف والعادة (35).

وهذا التشبه بين الجنسين هو نتيجة طبيعية للتقليد الأعمى للغرب والذي هو محظور على المسلم تمامًا، فمخالفة الكافرين مقصد شرعي؛ فقد نهى الله تعالى المؤمنين عن اتباع سبيل الكافرين من اليهود والنصارى والمشركين، وغيرهم من أمم الكفر، فنهى الله أهل الإسلام عن التشبه بالكفار، وعن تقليدهم والتبعية لهم، فقال جل وعلا: ﴿وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ **[المائدة: 48].**

ومن التشبه الخطير تقليد الكفار بلباسهم، وهذا بحر لا ساحل له، ألوانه شتى، ونماذجه هنا وهناك، نرى بأم أعيننا محاكاتهم للكفار وتقليدهم فيها، إنك لتأسى عندما ترى عددًا من شباب الأمة الذين هم أملها يتشبهون بالكفار في لباسهم، بل يشهرونها ويعدُّونها تحضرًا ومدنية وأناقة وتقدمية، فأين هؤلاء من رسول الله ﷺ عندما رأى على رجل ثوبين معصفرين فقال له: «**إن هذه ثياب الكفار فلا تلبسها**»[(36)]. وهذا فاروق الأمة عمر بن الخطاب كتب للمسلمين وهم بأذربيجان: (إياكم والتنعم وزي أهل الشرك).

---

(34) أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه.

(35) راجع فتاوى الأزهر(التشبه بين الجنسين).

(36) رواه مسلم.

الشباب ولبس الحرير

وهو صورة من صور التشبه بالغرب، والتشبه بين الجنسين؛ فكثيرًا ما ترى رجالًا يلبسون الحرير دون حاجة، فعن عليٍّ قال: أخذ رسول الله ﷺ حريرًا بشماله وذهبًا بيمينه ثم رفع بهما يديه، فقال: «**إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم**» (37).

وقال ﷺ: «**لا تلبسوا الحرير، فإن من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة**»(38).

وقال ﷺ: «**إنما يلبس الحرير من لا خلاق له**»(39).

وروى البخاري عن حذيفة: «نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة، وأن نأكل فيهما، وعن لبس الحرير والديباج وأن نجلس عليه».

فـ «يحرم لبسه وافتراشه والاتكاء عليه وتوسده وتعليقه، وستر الجدر به غير الكعبة المشرفة، كما تحرم التكة وخيط السبحة»(40).

والمحرم من الحرير هو الخالص، أما المخلوط فيحرم إذا كان الحرير غالبًا في الوزن أو المظهر، ومحل الحرمة إذا لم تكن هناك ضرورة للبسه، كدواء من آفات أو حكة(41).

---

(37) ابن ماجه.

(38) رواه البخاري ومسلم.

(39) رواه البخاري ومسلم.

(40) غذاء الألباب ج 2 ص 157.

(41) فتاوى الأزهر (لبس الحرير).

الشباب والملابس الرياضية

هناك الكثير من الرياضات التي تشترط فيها الهيئات المنظمة شروطًا غير لائقة إسلاميًّا، مثل رياضة السباحة، والعدو، وكرة القدم والكرة اليد والكرة الطائرة، والباليه، وغيرها من الرياضات التي يشترط فيها لباس معين لا يراعي الضوابط الأخلاقية بالنسبة للرجال والنساء معًا، فبالنسبة للرياضة نفسها لا يمكننا القول بأنها حلال أو حرام؛ لأن مثل هذا الحكم يجب أن يستند إلى حجج ودراسات من المتخصصين.

أما الإسلام في العموم فيقر ويحض على الرياضة الهادفة النظيفة التي تتخذ وسيلة لا غاية، وتلتمس طريقًا إلى إيجاد الإنسان الفاضل المتميز بجسمه القوي، وخلقه النقي، وعقله الذكي، فمن حقنا أن نتمتع بالرياضة إذا كانت وسيلة لا غاية، واستمتاعًا لا تعصبًا.

ما أبشع البعض عندما يصيرون الحلال حرامًا!! فهذه الرياضات حلال، ولكن عندما تتحول إلى استعراض للعري، فإنها - وليس مطلق الرياضة- تدخل قائمة المحظورات من الرياضات، فضرورة ستر الأجساد لا تحتاج إلى دليل، ويكفي هذا الحديث الذي بين أيدينا.

الشباب والحديث عن العلاقة الزوجيــة

وهذه إحدى الظواهر التي انتشرت في عصرنا بصورة لم يسبق لها مثيل، بين الرجال وبين النساء، وبين الرجال والنساء، وبين الشباب وبين الشابات، ومن الشباب والشابات أصبح الكلام عن الجنس لا حياء فيه، أصبح من الأمور المباحة، وأصبح أحد الموضوعات الرئيسة بين أي اثنين تربطهما علاقة اجتماعية: صداقة، قرابة، أو غير ذلك، ولعل مما ساعد على ذلك الانفتاح الكبير على المجتمعات الغربية، وما فيها من إباحات وسفور، وانتقل هذا الأمر إلى مجتمعاتنا الإسلامية، والإسلام منه براء.

إن الإسلام لا ينظر للجنس باحتقار، ولا يدعو إلى التنزه عنه، فلا رهبانية في الإسلام، بل يعتبره غريزة فطرية وطبيعة بشرية، لكنه يضع - كما سبق القول - له الحدود والآداب بما يحفظ طهره وتماسكه ليظل المجتمع الإسلامي طاهرًا ونظيفًا، ومن تلك الحدود أن الرسول ﷺ حرم على كلا الزوجين أن ينشرا الأسرار المتعلقة بالوقاع، فقد روي عن أسماء بنت أبي يزيد -رضي الله عنها- أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده، فقال: **«لعل رجلًا يقول ما فعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرم القوم»**. فقلت: إي والله يا رسول الله، إنهم ليفعلون وإنهن ليفعلن. قال: **«فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون»**[(42)].

ومن ذلك قول رسول الله ﷺ:**«إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»**.

فللحياة الزوجية قدسية واحترام، ولها أسرارها الخاصة التي يجب أن تصان وتحفظ، فماذا يفعل نشر تلك الأسرار في خلق الناس وعلاقاتهم الاجتماعية، فعندما تصف المرأة ما يحدث بينها وبين زوجها مبالغة كعادة النساء لامرأة أخرى فإنها قد تفتح بذلك باب الجحيم عليها، وعلى تلك المرأة، فهي بذلك تنشر أسرار زوجها الذي قد يكون قويًّا جنسيًّا وزوجها ضعيف جنسيًّا، فإنها بذلك تشعل نار الغيرة في قلب من تلقي إليها بالكلام، فتعقد عليها وعلى زوجها، وربما امتد الأمر إلى الحسد الذي يدمر كل شيء، وربما كانت من تسمع إليها من النساء الضعيفات في إيمانهن وأخلاقهن، والتي تجد بوصف المرأة لزوجها أمامها غرضها في هذا الرجل، فتعمل على الإيقاع به ليحقق غرضها، ويلبي احتياجاتها ويعوض ما فقدت مع زوجها، وللنساء من الأساليب والحيل والمكر الكثير، وإذا كان زوجها ضعيفًا جنسيًّا فهي بذلك تحرجه عندما تنشر أسراره، وتضعه في موضع

السخرية أمام الجميع، والطامة تكون عندما يختلفان فتنشر كلتاهما أسرار الأخرى معايرة، وقد يصل الأمر إلى الزوج فيقوم بالانتقام من زوجته إما بالضرب أو الطلاق أو غير ذلك، وقد يصل الأمر في كثير من الحالات إلى القتل، وهناك آلاف القصص التي تنشر يوميًّا في الجرائد والمجلات تؤيد هذا وأكثر.

أي الرجال ذلك الذي يجلس وسط آخرين ليصف محاسن زوجته، وأي النساء تلك التي تسقط قناع حيائها عن أحوال زوجها وقدرته على الوقاع.

إن الذي يفعل ذلك مثل الشيطان الذي لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون كما قال النبي ﷺ. لقد ذكر الإمام النووي في شرحه لأحاديث تحريم الجماع أن مجرد ذكر الجماع إذا لم يكن فيه فائدة فمكروه؛ لأنه خلاف المروءة.

---

(42) أحمد ومسلم بلفظ مختلف.

الشباب وتأثرهم بالأفلام المخلة

أحد الأمور التي انتشرت بين المتزوجين، وخاصة الشباب، الوطء في الدُّبر؛ وذلك أمر ناتج عن رؤية ومشاهدة الأفلام الغربية المخلة المنتشرة على الإنترنت، والجميع يعلم أن هذا الأمر حرام شرعًا، لكن معظمهم لا يعرف مدى حرمته وعاقبته، ونقول: يحل للرجل من زوجته كل شيء، وكل وضع، ما دام في القبل، يأتيها من أية جهة شاء، من الخلف أو الأمام، قال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [البقرة: 223].

وقال عليه الصلاة والسلام: **«مقبلة ومدبرة إذا كان ذلك في الفرج»**[43]؛ حيث كان هناك اعتقاد عند العرب روج له اليهود أن الرجل إذا أتى زوجته من دبرها في قبلها كان الولد أحول، ولعل هذا هو سبب نزول الآية، حيث كان العرب يقتدون بهم باعتبارهم أهل علم، فأنزل الله ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ أي: مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضوع الولد[44]. فالرجل إذن يأتي زوجته كيف شاء ما دام يأتيها في القبل ويحرم عليه أن يأتيها في الدبر.

قال النبي ﷺ: **«لا تأتوا النساء في أدبارهن»**[45]، وقال ﷺ: **«لا ينظر الله إلى رجل يأتي امرأته في دبرها»**[46]. وقوله ﷺ: **«من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها، أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»**[47].

فعلى الرجل أن يستمتع بزوجته في كل جسمها ما عدا الدبر، وأما الزوجة فلها أن تستمتع بجسد زوجها في كل مواضعه، وأن يفعلا أي شيء يثير شهوتيهما، فكل الجسم حلال إلا الإيلاج في الدبر، وفي ذلك حكمة كبيرة؛ حيث يؤدي مثل هذا الفعل إلى الكثير من الأمراض التناسلية؛ حيث معلوم أن الشرج هو مخرج البراز، بكل ما فيه من ميكروبات فضلًا عن الرائحة الكريهة، كما أن وضعها بعد ذلك في الأمام ينقل المرض من الرجل إلى المرأة، حيث يصيبها بالكثير من الأمراض التناسلية خاصة الفطرية والميكروبية منها، وهناك الكثير من الشباب يعترضون على ذلك بأن في هذا لذة كبيرة، وفيه متعة، فلماذا يحرم ذلك علينا؟

وهنا نقول: الله سبحانه وتعالى أعلم بصالح عباده، وما كان يحرم شيئًا فيه خير لهم، وما كان يبيح أمرًا فيه شر لهم، وهنا تحضرني كلمة لشيخنا الفاضل محمد متولي الشعراوي حيث قال:«إذا امتنع الرجل عن ممارسة الحرام ذاق حلاوة الحلال» فعلى جميع الأزواج أن يلتزموا بكل ما أمرنا الله ورسوله، وهنا تكون المتعة التامة، والسعادة المرجوة.

---

(43) البخاري، ومسلم، والنسائي.

(44) أبو داود.

(45) الشافعي، الدارمي.

(46) السنن الكبرى للنسائي رقم 9011.

(47) سنن الترمذي رقم 125.

الشباب وإتيان الحائض

إن كل ما قيل من أخطاء في إتيان المرأة في دبرها لا يقل بحال من الأحوال عن إتيـانها في فترة الحيض، وهو أيضًا من المحرمات، قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)﴾ [البقرة: 222].

وفي حديث النبي ﷺ: **«من أتى حائضًا أو امرأة في دبرها أو كاهنًا فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»**(48).

فالنصوص الشريفة تحرم على الرجل مباشرة زوجته وهي حائض، وهناك كثير من الدراسات العلمية الطبية الحديثة توصلت إلى أن في ذلك أذى للزوجين معًا؛ حيث إن دم الحيض تتكاثر فيه ميكروبات وتتزايد، فتنتقل إلى الرجل أثناء الجماع، فيصاب الرجل بالتهابات في مجرى البول والبروستاتا، وكذلك قد تؤدي بعض تلك الميكروبات إلى أنواع مختلفة من الأمراض الجلدية التي تصيب الذكر.

وأما عند المرأة، ففي فترة الحيض يكون الجهاز التناسلي للمرأة في هيئة يضر به الجماع؛ حيث تكون الأوعية الدموية لجدار الرحم مفتوحة، وقد يؤدي الاتصال الجنسي إلى دخول أجزاء من محتويات تجويف الرحم إلى هذه الأوعية، وهذا يضر جدًّا بالمرأة، فقد تسبب أورامًا ينتج عنها نزيف أثناء العادة الشهرية، كما أن (البروستا جلا ندين) الذي يوجد في السائل المنوي للرجل يتسرب إلى جسد المرأة، فيضعف مناعتها ويجعلها عرضة للأمراض، حيث يفرز جسم المرأة مادة مضادة له، تخرج مع دم الحيض، وسبحان الله الذي يعلم ما يصلح لعباده.

ونحن في هذا الزمن الذي انتشرت فيه تلك الممارسات الجنسية والمنهي عنها، لضعف في الإيمان، أو لعدم العلم بجريمتها، ولعلنا قد وجدنا سببًا للكثير من الأمراض الجنسية والتناسلية المنتشرة في زماننا، ذلك أننا بعدنا عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فهذه أمراض تصيب البروستاتا وأخرى تصيب مجرى الذكر، وثالثة في الخصيتين، ورابعة أمراض جلدية، وخامسة تؤثر على عملية الإنجاب، وسادسة مرتبطة بالدورة الدموية، والمرأة عندها مشاكل في جهازها التناسلي من التهابات وقرح في عنق الرحم، وأمراض خبيثة تصيب الرحم مثل سرطان الرحم والنزيف الدائم الذي ينتج عن تكيف أنسجة الرحم، وعدم القدرة على الإنجاب نتيجة انسداد قنوات فالوب، وعدم قيام المبيض بوظائفه الرئيسية من إنتاج بويضات، وغير ذلك الكثير من الأمراض

المنتشرة، كل ذلك بسبب ابتعاد الناس عن فطرة الله التي فطرهم عليها واتجاههم إلى أنواع كثيرة من الشذوذ الجنسي.

وعلى من غلبته نفسه فأتى الحائض قبل أن تطهر من حيضها أن يتوب إلى الله، وعليه أن يتصدق لحديث عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ في الذي يأتي امرأته وهي حائض يتصدق بدينار أو نصف دينار(49).

ومن أخطار تلك الممارسات الشاذة أمراض فقدان المناعة المكتسبة وهو طاعون العصر، ولم يكن معروفًا من قبل، ويسببه فيروس تم اكتشافه عام 1983، وهو يدمر الجهاز العصبي المركزي في الإنسان دمارًا شاملًا، مما يجعل جسد الإنسان عرضة للأمراض القاتلة، وينتهي الحال بالموت لا محالة، ولم يعرف علاج فعال لهذا الوباء حتى اليوم.

ومن ذلك الزهري الذي تسببه جرثومة لا تعيش إلا في جسد الإنسان، وتظهر أعراضه بظهور قرح وتورمات على أعضاء التناسل أو الشفة أو اللسان ينتهي الأمر بالشلل والعمى وتصلب الشرايين والذبحة الصدرية والتشوهات الجسمية.

ومن ذلك السيلان وهو أكثر الأمراض الجنسية المعدية انتشارًا، وصدق الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم حين قال: **«لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»**(50).

---

(48) أصحاب السنن، النسائي.

(49) أخرجه أصحاب السنن والطبراني والحاكم.

(50) الطبراني في المعجم الأوسط.

الشباب والتجميل

قال رسول الله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللهِ**»(51).

قال النووي رحمه الله: أما (الواشمة) ففاعلة الوشم، وهي أن تغرز إبرة أو مسلة أو نحوهما في ظهر الكف أو المعصم أو الشفة أو غير ذلك من بدن المرأة حتى يسيل الدم، ثم تحشو ذلك الموضع بالكحل.. فيخْضرّ.. وهو حرام على الفاعلة والمفعول بها باختيارها.

وأما (النامصة) فهي التي تزيل الشعر من الوجه، والمتنمصة التي تطلب فعل ذلك بها، وهذا الفعل حرام إلا إذا نبتت للمرأة لحية أو شوارب، فلا تحرم إزالتها.

وأما (المُتفلِّجات) أن تبرد ما بين أسنانها، فتجعل فرجة بين الثنايا والرباعيات، وتفعل ذلك العجوز ومن قاربتها في السِّنّ إظهارًا للصغر وحسن الأسنان؛ لأن هذه الفرجة اللطيفة بين الأسنان تكون للبنات الصغار، فإذا عجزت المرأة كبرت سنها وتوحشت فتبردها بالمبرد لتصير لطيفة حسنة المنظر، وتوهم كونها صغيرة.. وهذا الفعل حرام على الفاعلة والمفعول بها لهذه الأحاديث، ولأنه تغيير لخلق الله تعالى، ولأنه تزوير، ولأنه تدليس(52).

هذه الأمور وهي حرام بالنسبة للنساء، فكيف بمن يفعلها من الشباب، لقد أصبحنا نرى كثيرًا من الشباب يوشم على يده أو كتفه أو بطنه أو صدره اسم امرأة يحبها، أو اسم رسم ما تشبهًا بالأجانب في هذا، فهذا يرتكب محظورين: الوشم والتشبه بالكافرين.

الشباب والعمليات التجميلية دون ضرورة:

كذلك العمليات التجميلية من الأمور المنتشرة ليس للفتيات فقط، بل أيضًا للشباب في كثير من الأحيان، وفي كثير من البلدان ذات الدخل المادي المرتفع، فأصبحنا نرى ونسمع عن شباب يقومون بإجراء عمليات تجميلية، وهذا أمر مشين، فأين هم من أمر عمر بن الخطاب (اخشوشنوا فإن النعيم لا يدوم).

يُعرِّف الأطباء المختصون جراحة التجميل بأنها: جراحة تُجرى لتحسين منظر جزء من أجزاء الجسم الظاهرة. وقد تكون اختيارية أو ضرورية.

فالضرورية أو ما في حكم الضرورية: هي ما كانت الحاجة داعية إلى فعلها كإزالة عيب من نقص أو زيادة أو تلف أو تشوّه. وهي في الوقت نفسه تجميلية بالنسبة إلى آثارها ونتائجها.

والعيوب قسمان: عيوب خَلْقيّة وعيوب ناشئة من الآفات المَرَضية التي تصيب الإنسان، فمثال الخلقية: الشفة المقلوبة والمشقوقة والتفاف الأصابع.. إلخ. ومثال الناشئة: ما ينتج من مرض الجذام ونحوه، أو ما ينتج من الحوادث والحروق. ومما لا شك فيه أن هذه العيوب يتضرر منها الإنسان حسًّا ومعنًى، ومن ثَمَّ يجوز لأصحاب هذه العيوب شرعًا إزالتها أو إصلاحها أو التخفيف من أذاها بالجراحة؛ لأن هذه العيوب تشتمل على ضرر حسيٍّ أو معنوي يوجب الرخصة لفعل الجراحة، نظرًا لأنها حاجة ماسّة، والحاجة تُنزَّل منزلة الضرورة التي تُبيح المحظور، فأية جراحة تدخل تحت مسمى الجراحة التجميلية ووجدت فيها الحاجة المشتملة على ضرر فيشرع إجراؤها ولا يُعتبر هذا تغييرًا لخلق الله.

وممّا ينبغي الإشارة إليه أنّ جراحي التجميل لا يفرّقون بين الحاجة التي بلغت مقام الأخطار والتي لم تبلغه، وإنّما يهمّهم الكسب الماديّ وإرضاء الزّبون، وأصحاب الأهواء والماديون ودعاة الحريّة يتصورون أنّ الإنسان حرّ يفعل في جسده ما يشاء، وهذا انحراف، فإنّ الجسد لله يحكم فيه بما يشاء، وقد أخبرنا عن الطرق التي تعهّد بها إبليس لإغواء البشرية ومنها قوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾ [النساء: 119].

فهناك عمليات تجميلية محرمة لا تتوافر فيها الدواعي المعتبرة شرعًا للرخصة، وتعتبر عبثًا بالخلقة، وطلبًا للجمال والحسن، ومن أمثلتها تجميل الثديين بتصغيرهما أو تكبيرهما، وما يجري لإزالة آثار الشيخوخة مثل شد التجاعيد ونحو ذلك، وموقف الشريعة أنّ ذلك لا يجوز لأنه من الجراحة التي لا تشتمل على دوافع ضرورية ولا حاجية، بل غاية ما فيها تغيير خلق الله، والعبث به حسب أهواء الناس وشهواتهم، فهذا حرام ملعون فاعله لأنه اشتمل على أمرين مجموعين في الحديث وهما: طلب الحسن وتغيير خَلْق الله..

ويُضاف إلى ذلك أن هذه الجراحات تتضمن في عدد من صورها الغش والتدليس والحقن بمستخلصات مأخوذة من الأجنّة المُجهَضة بالطرق المحرّمة احتيالًا وشراءً -وهذا من أكبر الجرائم - وكذلك ما ينتج عن كثير من عمليات التجميل من الآلام المستمرّة والأضرار والمضاعفات. كما يقول الأطباء المختصون (53).

---

(51) صحيح مسلم 3966.

(52) النووي على صحيح مسلم 13107.

(53) يُنظر كتاب أحكام الجراحة: د. محمد محمد المختار الشنقيطي.

الشباب والباروكـة

قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الواصلة والمستوصلة**»[54]، وفيه النهي عن وصل الشعر، حيث ورد فيه أن امرأة قالت للنبي ﷺ: «إن لي ابنة عُرَيِّسًا -تصغير عروس- أصابتها حصبة فتمزق شعرها، أفأصله؟ فقال... الحديث.

ويفهم من الحديث السبب الذي لعنت به الواصلة والمستوصلة، أن التحريم مبني أيضًا على الفتنة والإغراء لجذب انتباه الرجال الأجانب.

هذا، وجاء في كتب الفقهاء: أن لبس الشعر المستعار حرام مطلقًا عند مالك، وحرام عند الشافعية إن كان من شعر الآدمي، أو شعر حيوان نجس، أما الطاهر كشعر الغنم وكالخيوط الصناعية فهو جائز إذا كان بإذن الزوج، وأجاز بعضهم لبس الشعر الطبيعي بشرطين: عدم التدليس وعدم الإغراء، وذلك إذا كان بعلم الزوج وإذنه، وعدم استعماله لغيره هو.

ومن هذا يُعلم أن تصفيف شعر المرأة عند «الكوافير» الرجل الأجنبي حرام، وأن لبسها «الباروكة» عند الخروج، أو عند مقابلة الزائرين الأجانب حرام[55].

---

(54) رواه البخاري.

(55) فتاوى الأزهر (لبس الباروكة).

الشباب وتقليد الغرب

وهي ظاهرة منتشرة بكثرة بين الشباب، خاصة مع تقليد الغرب في أشكال وأنواع حماماتهم ومراحيضهم، وقد أخبر النبي ﷺ من أسباب عذاب القبر عدم الاستتار من البول، فعن ابن عباس قال: مر النبي ﷺ بحائط (بستان) من حيطان المدينة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: **«يعذبان، وما يعذبان في كبير»**. ثم قال **«بلى»**. وفي رواية: **«وإنه لكبير»**، **«كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة..»**[(56)]. وأخبر النبي ﷺ أن **«أكثر عذاب القبر في البول»**[(57)].

معنى الاستتار ألا يجعل بينه وبين بوله سترة يعني لا يتحفظ منه[(58)]، فكثير من الناس يتساهلون في إزالة النجاسة مما يتسبب في تلويث ثيابهم أو أبدانهم، وبالتالي عدم صحة صلاتهم، وعدم الاستتار من البول يشمل من يقوم من حاجته بسرعة قبل أن ينقطع بوله أو يتعمد البول في هيئة أو مكان يرتد عليه بوله أو أن يترك الاستنجاء أو الاستجمار أو يهمل فيهما.

وقد وقع عند أبي نعيم: «كان لا يتوقى» وهو مفسر للمراد، وأجراه بعضهم على ظاهره، فقال: معناه لا يستر عورته، وهذه رسالة إلى المتبولين في الشوارع الذين لا حياء لهم، وهي ظاهرة انتشرت، وأصبحت ملاحظة بشدة، أن يبول الرجل أو يتغوط بجوار حائط دون أن يتخذ له ما يستر عورته أمام المارة في الشارع، وهذا فيه ما فيه من الحرمة، ففيه عدم ستر العورة، وفيه خدش حياء المارة، وفيه التسبب في قذارة الشارع، وما يلاقيه الناس من رؤية لمنظر أو شم لرائحة كريهة.

---

(56) رواه البخاري، انظر فتح الباري 1/317.

(57) رواه الإمام أحمد 2/326 وهو في صحيح الجامع 1213.

(58) نيل الأوطار.

الشباب واختيار الأصحاب

مصاحبة الناس ومجالستهم شيء لا مفر منه، فالإنسان ميال بطبعه إلى مخالطة الآخرين ومجالستهم والاجتماع بهم، وكل إنسان يعيش في هذه الدنيا لا بد له من أن يتواجد في وقت من الأوقات في مجلس ما من مجالس الناس التي هي جزء لا يتجزأ من هذه الحياة، ولا يمكن لأحد أن يتجنب مجالس الناس.

ونظرًا لأهمية هذه الظاهرة الاجتماعية وأثرها الواضح في فكر الإنسان ومنهجه، بل وسلوكه، وربما كانت سببًا فعالًا في مصير الإنسان وسعادته الدنيوية والأخروية، حرص الشرع ألا يترك تلك المنطقة فارغة دون أن يملأها بالزاد القويم الذي به ينال الفرد الرضا والسعادة في الدنيا والقبول والطمأنينة في الآخرة.

قال تعالى:﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (27) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً (27) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً (29) ﴾ [الفرقان: 27 - 29].

فكل من خسر الدنيا وظلم نفسه بمصاحبة أهل السوء والفسقة والجاهلين ممن كانوا سببًا في ضلاله، يأتي يوم القيامة نادمًا حيث لا ينفع الندم على تلك الصحبة.

فأعظم ما يعين المسلم على تحقيق التقوى، والاستقامة على نهج الحق والهدى، مصاحبة الأخيار، ومصافاة الأبرار، والبعد عن قرناء السوء ومخالطة الأشرار.

والإنسان بحكم طبعه البشري يتأثر بصفيه وجليسه، ويكتسب من أخلاق قرينه وخليله، والمرء إنما توزن أخلاقه، وتعرف شمائله بإخوانه وأصفيائه، كما قال عليه الصلاة والسلام: **«الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»**(59).

وقال ابن مسعود : (ما من شيء أدل على شيء؛ من الصاحب على الصاحب)، ومن كلام بعض أهل الحكمة: (يظن بالمرء ما يظن بقرينه).

ومن هنا وجه رسول الله ﷺ كل فرد من أفراد الأمة إلى العناية باختيار الجلساء الصالحين، واصطفاء الرفقاء المتقين، فقال عليه الصلاة والسلام: **«لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلا تقي»**(60).

كما ضرب ﷺ للأمة مثل الجليس الصالح والجليس السوء بشيء محسوس وظاهر، كل يدرك أثره وعاقبته، ومقدار نفعه أو ضرره، فعن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال: **«إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن**

تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا منتنة»(61).

فعلى كل مسلم أن يحرص على أن يجالس من يرى في مجالسته النفع له في أمر دينه ودنياه، وإن خير الأصحاب لصاحبه، وأنفع الجلساء على جليسه من كان ذا برٍّ وتقى، ومروءة ونهى، ومكارم أخلاق، ومحاسن آداب، وجميل عوائد، مع صفاء سريرة، ونفس أبية، وهمّة عالية، وتكمل صفاته ويجل قدره حين يكون من أهل العلم والأدب، والفقه والحكمة.

---

(59) رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح.

(60) رواه أبو داود والترمذي بإسناد حسن.

(61) رواه البخاري ومسلم.

الشباب وإلقاء السلام

ويمثله قولهم «كثر السلام يقل المعرفة»، وهذا معتقد فاسد، لأن السنة والشرع قد أمرا بإفشاء السلام فقد قال ﷺ: «**إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه، فإن حالت بينهم شجرة أو حائط أو حجر ثم لقيه فليسلم عليه**»[(62)]. فالسلام هو مفتاح الحب والمودة في الله قال : ﴿**فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**﴾ **[النور: 61].**

والمسلم مطالب بأن يسلّم على من عرف من المسلمين ومن لم يعرف، ففي الحديث المتفق عليه عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»[(63)]، وفي هذا حثّ على إشاعة السلام بين المسلمين، وأنه ليس مقتصرًا على المعارف والأصحاب فحسب! بل للمسلمين جميعًا.

ومكلف أن يرد التحية بمثلها أو بأحسن منها. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا (86)**﴾ **[النساء: 86].**

والسلام يدل على تواضع المسلم ومحبته لغيره، وينبئ عن نزاهة قلبه من الحسد والحقد والبغض والكبر والاحتقار، وهو من حقوق المسلمين بعضهم على بعض، ومن أسباب حصول التعارف والألفة وزيادة المودة والمحبة، وهو من أسباب تحصيل الحسنات ودخول الجنات، وفي إشاعته إحياء لسنة المصطفى ﷺ.

ولا يستهين بهذا الأدب ويعرض عن تطبيقه إلا مصاب في أخلاقه بمرض الكبر والعجب بالنفس، أو بالأنانية المفرطة التي يبخل معها بعطاء التحية، وعطاء التحية أهون عطاء يبذله الإنسان من لسانه ووجهه.

قال ﷺ: «**لَا تَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**».

---

(62) أبو داود رقم 4524.

(63) البخاري رقم 11.

الشباب والاشتراك فـي اليانصيب

وصور اليانصيب كثيرة، منها: عمليات اليانصيب التي تنظمها بعض الهيئات الخيرية لتمويل أوجه نشاطها في المجالات التعليمية والعلاجية والخدمات الاجتماعية، ومنها: الاشتراك في المسابقات التي تنظمها القنوات الفضائية ويكون الاشتراك فيها بثمن المكالمة التليفونية، والتى عادة ما تكون أكبر من قيمتها العادية، ومنها: شراء الورق بالأرقام، وهذه الصورة منتشرة في الغرب، ومثل هذه الصور حرام بلا شك، لأنه بيع باطل أو فاسد للجهالة ولكونه على خطر؛ لأنَّ كل من يدفع شيئًا لا يدري عين المبيع الذي يأخذه ولا إن كان يأخذ في نظير ما دفع شيئًا أم لا فهو في حكم القمار.

فحرمه الله تحريمًا قاطعًا بقوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)﴾ [المائدة: 90، 91]. فهذا اليانصيب حرام وغير جائز شرعًا لأنه من أنواع القمار وصوره.

الشباب والمخدرات

لقد انتشرت المخدرات انتشارًا كبيرًا وواسعًا بين أبناء الأمة -شبابها ورجالها- حتى إننا لا نبالغ إن قلنا: إنها طالت كل بيت وكل عائلة، وأعداء الأمة يتربصون بالشباب للنيل منهم، وقد استخدموا أخطر سلاح فتاك، استخدموا المخدرات ونشروها في الخفاء لتسري ببطء بين صفوف الشباب فتصيبيهم بالوهن والعجز عن العمل والكفاح، وروجوا لهذه السموم بالدعايات الكاذبة المغرضة بواسطة عملائهم الخونة من المهربين والمروِّجين، وقد كان للإعلام دور كبير في ذلك، وساعدهم في هذا ما تعانيه المجتمعات الإسلامية من فراغ وبطالة وأزمات سياسية، تجعل الشباب يلجأ لأسهل الطرق لينسوا ما هم فيه من أزمات نفسية تكاد تفصمهم عن الواقع.

إن من غايات الإسلام الأساسية حفظ العقل الذي شَرُفَ به الإنسان على غيره، وفي سبيل ذلك حرم الإسلام كل ما يزيل هذا الشرف، فحرم الإسلام كل الخبائث؛ والمخدرات من الخبائث والمفسدات ومزيلات العقل، التي نهى عنها.

فالحشيش والأفيون والكوكايين والحبوب المخدرة، إلى غير ذلك من الأنواع المخدرة، التي تفقد الوعي، وتغيب العقل، والتي تنتشر بصورة كبيرة بين شبابنا، كلها من المخدرات؛ لأنها تتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية.

وقد اتفق العلماء في مختلف المذاهب الإسلامية، على تحريم المخدرات بشتى أنواعها، وأفتوا أن تعاطيها عن الكبائر، يستحق مرتكبه المعاقبة، في الدنيا والآخرة، سواء كان تعاطيها عن طريق الأكل أو الشرب أو الحقن، أي تعاطيًا، وأيضًا تهريبًا وحيازة وصنعًا وزراعةً؛ لِمَا لها من مضار كبيرة بالمجتمعات الإسلامية.

ورغم أن كلمة مخدرات لم ترد في القرآن الكريم، فإن هناك العديد من الآيات القرآنية تصدق في حكمها على المخدرات، قياسًا على ما تسببه من أذى وضرر للمتعاطي. منها قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: 157].** فهنا قاعدة عامة تبيح فعل الطيبات، وتحرم كل خبيث. والمخدرات تُعَدّ من الخبائث. وإذا كان النبيُّ ﷺ قد وصف الخمر بأنها أمُّ الخبائث، فإن هذا الوصف ينطبق على المخدرات؛ لأنها أشدُّ ضررًا من الخمر، فتكون مُحرَّمة، بدلالة النص.

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)﴾ [المائدة: 90، 91].** فكل ما يخامر العقل، ويحول بينه وبين معرفته الأشياء على حقيقتها

حرام. ولما كانت المخدرات تشترك مع المسكرات، في كونها تخدر الجسم، وتغطي العقل، وتصرفه عن حالته الطبيعية؛ فإنها محرمة أيضًا، بالقياس على علَّة التحريم.

كما روى أبو داود عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي ﷺ أنه قال: **«كُلُّ مُخَمِّرٍ خَمْرٌ وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»**. والخمر يغطي العقل، وكل ما غطى العقل وأسكر حرام.

فالنبي ﷺ عَدَّ كل مسكرة خمرًا سواء سميت بذلك، في لغة العرب، أو لم تسمَّ به، وورد في سنن أبي داود، أن رسول الله ﷺ قال: «مَا أَسْكَرَ كَثِيرُهُ، فَقَلِيلُهُ حَرَامٌ».

لقد حرم الله كل مسكر بنص القرآن والسنة لأضراره السيئة على البدن والعقل.. والمخدرات صورة من صور المسكر، وهي أشد أثرًا وخطرًا على صحة الإنسان وعقله وهي محرمة شرعًا بإجماع فقهاء المسلمين.

إن المخدرات سموم ولعنة وتشريد ودمار فلا تصدق ما يروجه الأعداء:

- لا تصدق أن المخدرات تمنح النشوة وتجلب السعادة فهذه خرافة لأنها تتلف الأعصاب وتجلب الاكتئاب وتؤدي إلى الانهيار النفسي.
- لا تصدق أن المخدرات تساعد على الهروب من الواقع الأليم، ومن مشاكل الحياة، فهي تزيد الهموم والمشاكل.
- لا تصدق أن المخدرات تجلب القوة والنشاط، فالثابت أنها تؤدي حتمًا إلى الضعف والوهن والطريق إلى العجز والهلاك والتشرد والضياع.
- لا تصدق أن المخدرات تساعد على اليقظة والاستذكار، فهذا وهم لأنها تدمر خلايا المخ وتتلف الأعصاب وتفقد الذاكرة وتقلل من القدرة على الفهم والتركيز والاستيعاب وتؤدي في النهاية إلى الضياع.

الشباب والركام العقدي والفكري والسلوكي

يحار الشباب أمام الركام الهائل من الغثاء العقدي والفكري والسلوكي. لقد أنكر الرسول ﷺ كل شيء دخيل على الإسلام حتى المشابهة في هذا الشكل الخارجي، لما يؤدي إليه من المشابهة في المضامين والمقاصد، فالمسلم يتميز حتى في ثيابه، وفي لباسه، وفي منهجه، وفي فكره، وفي أدبه.

قدَّم الاستشراق إلى الشرق الشهوات وزينها إلى أبناء المسلمين في كأس الخمر، وفي امرأة زانية، وأغنية رخيصة، ومجلة خليعة، إنها حرب من نوع آخر استعملوا فيها أسلحة رخيصة، هدموا بها قيمنا وشموخنا وعزتنا.

لقد نجح الغرب نجاحًا باهرًا يوم أن قدم كأس الخمر والمخدر والسيجارة إلى الشباب حتى تذهب عقولهم، وبذهابها يذهب المجد والعرض، والشرف والسؤدد، والنبل في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وإذا ذهب العقل فلا تسل عن صاحبه، وإذا ذهب العقل فقد وصل الإنسان إلى مستوى البهائم والببغاوات.

فكثيرًا ما يكون مصدر شقاء الإنسان عقله وليس قلبه، فالعقل الذي يتبع طريقة متصلبة في التفكير يسبب لصاحبه الكثير من العناء؛ لأن صاحبه يرى العالم على غير ما هو عليه، وتختلط عليه الأهواء بالرؤى، وتصبح ممارسة الاضطهاد ضد المخالفين أمرًا مشروعًا وعادلًا وعاديًّا، وإذا صار صاحب العقل المتسلط صاحب سلطة، فإنه يمارس الطغيان، والتسلط في أبشع صوره، وهذا كله يحرم صاحب العقل المتسلط من نعمة التبادل مع الآخرين، ونعمة تجديد الرؤى والأفكار، وكشف العطب في جوانب ثقافته.

إن لدى كل واحد منا درجة ما من التسلط الفكري، فنحن لا نستطيع بصورة دائمة وضع الحواجز بين التسلط الممدوح الذي يتمثل في الجزم بالعقائد، والمبادئ، والمفاهيم الكبرى، وكل ما هو موضع إجماع، وبين التسلط الذهني المذموم الذي يتجلى في النقص في المرونة الذهنية، ويتجلى في التمسك بأمور خلافية اجتهادية على أنها أمور قطعية لا يصح الاختلاف فيها، ونحن في الحقيقة كثيَرا ما نتأذى ونؤذي غيرنا من خلال التعبيرات القاطعة التي نستخدمها غير مبالين بمشاعر الذين يستمعون إلينا، ومن ذلك ما نسمع كثيرًا من قول كثير من الناس: أنا لا أقول هذا أبدًا، ويقول بعضهم لك: كلامك لا يمكن قبوله، ويكون كلامه موضع نقاش، ويقول عن آخر: فلان دائمًا يكذب، مع أنه ليس هناك شخص يكذب في كل كلامه، لا بار ولا فاجر، لا مسلم ولا غير مسلم، وهناك من يقول لك: كل جاهل سيئ، مع أن هناك بعض الجهلة الذين لديهم أصالة في الشخصية أفضل بكثير من بعض المتعلمين.

وهناك من يقول لك: من قال إن أمة الإسلام فقيرة؟ أقنعه بعض الكتاب غير الموضوعيين بأن أمة الإسلام تملك ثروات هائلة، فجعل يقول هذه المقولة بدون النظر إلى الواقع، وتبدل رأس المال، وانتقاله من الثروات إلى ما تملكه الأمم من أفكار ومفاهيم، ونظم وأطر للعمل والإنجاز والتقنية، هذا كله تحول، والقول إن أمة الإسلام غنية، ومن أغنى الأمم، كلام يحتاج إلى مراجعة.

الكثير من القطيعة الاجتماعية والثقافية، والكثير من أسباب ضمور الحوار وركود النقاش يعود إلى مشكلة التصلُّب الذهني، حيث يشعر الناس بعدم الفائدة من مجالسة فلان أو محاورته، أو محاولة حل بعض المشكلات معه، وتكون النتيجة أن يشعر المصابون بهذه الآفة بالعزلة الاجتماعية والثقافية التي تسبب لهم آلامًا نفسية شديدة، تشعرهم بأنهم مظلومون ومضطهدون، مع أنهم في الحقيقة من بدءوا باضطهاد غيرهم، وسفهوا أقوالهم وآراءهم، وحرموهم من أية فرصة لإثبات صحة ما يذهبون إليه.

يغلب على صاحب الذهن المتسلط سوء الظن بالآخرين، وضيق الأفق، والشعور بأن الآخرين يتآمرون عليه، ولذلك فإنه يفسر معظم الأحداث السيئة التي تقع له على أنها بسبب مكائد له من الخصوم والمنافسين، ونتيجة لهذا فإنه كثيرًا ما يشعر أنه مقهور ومغلوب على أمره، وهذا كله يجعل خاطره مكدرًا، ويجعل روح الانتقام لديه في حالة من التوثُّب والجاهزية، وربما كان التعلم القائم على التلقين والحفظ والشرح المذهبي الضيق من جملة الأسباب التي تُكوّن العقلية المتصلبة، ولهذا فإنني أعتقد أننا في حاجة ماسة إلى إثراء الدراسات المقارنة في كل العلوم الإنسانية، وتعزيز الحوار والنقد العلمي الثقافي والاجتماعي في إطار الآداب الإسلامية المرعية. فللعقل في إسعاد الناس وإشقائهم دور هو في العادة أكبر مما يتم الاعتراف به.

الشباب و الوقت

الفراغ الذي يعيشه كثير من الشباب، وكثير من الفتيات، ذلك الفراغ الذي لم نستطع أن نوظفه إيجابيًّا، بل إننا في أحسن الأحوال نقتله، زاعمين أن ذلك قتل له، نقتله في الملهيات والمغريات والوقوع في الشهوات وتهييئها لهؤلاء الناشئة من الفتيان والفتيات، وعلى أحسن الأحوال؛ فإننا نقدم لهم ما لا نفع فيه، بحجة أننا نشغل أوقات فراغهم.

والفراغ أهم الأسباب الداعية إلى بقاء الشاب والفتاة مسمرين خلف هذه الشاشة إلى ساعات طويلة، ففي استبيان أجراه أحد الفضلاء في مدرسة شاملة متوسطة وثانوية تبين أن متوسط الذين أُجري عليهم هذا الاستبيان يقضون يوميًّا ما بين ثلاث إلى أربع ساعات على شاشة الكمبيوتر متصلين بالشبكة العنكبوتية، وقد مر أن بعض الشباب يقضي ما يزيد على ست ساعات يوميًّا أمام هذه الشاشة.

كَمٌّ هائل من أعمارنا يمضي، وأنفاسنا تنقضي، وما علم المغرورون والمخدوعون أن الذي يمضي من أوقاتهم هو أعمارهم نفسها، يقول الشاعر:

والوقت أنفس ما عنيت بحفظه

وأراه أهـون مـا عليـك يضيـعُ

إن الفراغ في الشرق يدمر ألوف الكفاءات والمواهب، ويدمر الطاقات ويبددها ويبعثرها إلى غير رجعة، يُروى عن عمر بن الخطاب أنه قال: إني لأرى الرجل فيعجبني، فإذا سألت عنه فقيل: لا حرفة له سقط من عيني. وقال الموفق أيضًا: إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللة. أي فارغًا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة، وقال حكيم: من أمضى يومًا من عمره في غير حق قضاه، أو فرض أداه، أو مجد أثله، أو حمد حصله، أو خير أسسه، أو علم اقتبسه فقد ضل عن يومه، وظلم نفسه. وكثيرون هم الذين نواجههم عندما نواعدهم، أو عندما نطلب إليهم مهمة ما، فيتحججون بأن المشاغل كثيرة، ويتعذرون بأنهم لا يجدون فراغًا يحكون فيه رءوسهم، وهؤلاء كما قال بعض الدعاة: مشغولون بلا مهمة.

الفراغ داء قتَّال للفكر والعقل والطاقة الجسمية، إذ النفس لا بد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة من ذلك تبلد الفكر، وثخن العقل، وضعفت حركة النفس، واستولت الوساوس والأفكار الرديئة على القلب، وقديمًا نبه المصطفى ﷺ على نعمتين عظيمتين غر فيهما من غر، فقال: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ**»(64)، وفي حديث آخر قال ﷺ مبينًا أن هذه

الدقائق التي تبعثر هنا وهناك مما يستثمر ويغتنم، قال: «**اغتنم خمسًا قبل خمس**» وعد منها: «**وفراغك قبل شغلك**»[(65)]، ولهذا قيل الفراغ للرجل غفلة، وللنساء غلمة، أي محرك للشهوة، وأحسن أبو العتاهية إذ يقول:

إن الشباب والفراغ والجدة
مفسدة للمرء أي مفسدة

إن الوقت نعمة تستحق الشكر كما ورد في الحديث الصحيح: «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ**»، الفراغ نعمة، وشكر هذه النعمة باستخدامها على أفضل وجه ممكن، والفراغ فرصة ذهبية للقيام بالأمور التي نرغب في حدوثها، لكننا لم نجد وقتًا لذلك، قد تستغربون كيف يكون الشيء مشكلة ونعمة وفرصة في آن واحد، فكل نعمة وكل فرصة لا نتخذ منها الموقف الصحيح تتحول إلى مشكلة قد يعاني منها صاحبها وحده، وقد يعاني منها معه أهله وزملاؤه وقومه ومجتمعه، وإن كل مشكلة لا يتمكن صاحبها من حلها على نحو مقبول قد يتحول صاحبها نفسه إلى مشكل اجتماعي، فيصبح عبئًا على غيره، ويتحول إلى إنسان يستهلك الخدمة عوضًا عن أن يكون شخصًا يقدم الخدمة لغيره.

إن الفراغ عبارة عن ظاهرة اجتماعية تمس حياة الفرد، وتمس حياة المجتمع، ويكفي في الفراغ أنه الوجه المقابل للعمل، فنحن لا نعرف كيف نحدد الفراغ، إلا إذا عرفنا كيف نحدد واجباتنا اليومية والأعمال التي ينبغي أن ننجزها، إذ إنه كلما كثرت الأعمال التي نفرضها على أنفسنا، ونعتقد أنها ضرورية لنا، قلت مساحات الفراغ في حياتنا، وكلما تضاءلت الأشياء التي يجب علينا القيام بها زادت أوقات الفراغ.

إن الذي يتمتع بالإنفاق من كسب أبيه، ويجلس دون مهمات، ولا أهداف، ولا طموحات؛ فإنه يجد يوميًّا ساعات طويلة ووقتًا كبيرًا فارغًا من أي عمل يشعر بأنه يجب عليه القيام به، وكثيرًا ما نلاحظ في حياتنا اليومية شخصين يعملان في مؤسسة واحدة، ولديهما دوام وظيفي واحد، أحدهما لا تعرض عليه فكرة تتطلب بعض الوقت إلا ويقبلها، فتقترح عليه أن تزوره أو يزورك أو يساعدك في موضوع، وستجد الجواب لديه دائمًا: متى ما شئت أنا جاهز، وأنا اليوم ليس عندي شيء، أما الآخر فيقول: والله لا أدري كيف تمر الأوقات، وقد نمت بالأمس، وعندي عمل لم أتمكن من إنجازه. أتى الفرق من الالتزامات التي رتبها كل واحد منهما على نفسه.

إن الموظف المشغول ربما كان عليه أن يجلس مع أولاده ساعتين يوميًّا لمذاكرة دروسهم، أو أن يقرأ ساعة واحدة في المساء، وهو يعتقد أن عليه كل يومين على الأكثر أن يقوم بزيارة والدته التي تسكن في حي آخر، وأن يمكث عندها ساعتين على الأقل، أما الموظف الذي لديه فراغ فقد لا يجد نفسه مطالبًا بكل هذا أو بعضه.

وهنا لابد من الإشارة إلى أن هناك نوعًا آخر مختلفًا من الفراغ، وهذا النوع ليس فراغ الوقت، ولكنه فراغ العقل، وفراغ الروح، إننا قد تعودنا على أن نرى في الباطل عن العمل رجلًا فارغًا يملك الكثير من الوقت، وهو لا يعرف كيف يملؤه، وكيف يفيد من ملئه بما يعود عليه بالنفع، وتعودنا على أن نحكم على العامل والموظف والمدرس والتاجر الذي يجلس اثنتي عشرة ساعة في متجره، أقول: تعودنا على أن نحكم على كل هؤلاء بأنهم أشخاص مشغولون، ولا يعانون من أية مشكلة، وهذا الحكم كثيرًا ما يكون صحيحًا، ولكنه ليس صحيحًا دائمًا، فهناك طلاب جامعات يعانون من كل أنواع الفراغ، فهم يؤخرون الدراسة إلى أيام الامتحانات، والتي لا تتجاوز شهرًا ونصفًا في السنة أو شهرين بحجة أنهم تعودوا على ذلك، أو بحجة أن المناهج سهلة، وفي إجازات الصيف والربيع والخميس والجمعة وفي مساءات كل الأيام يشعرون بفراغ قاتل فلا دراسة تملأ الأوقات، ولا أهداف، ولا طموحات، ولا برامج للارتقاء بالذات، ولا دوام جزئي من أجل كسب شيء من المال. إنهم في الحقيقة يعانون من الاغتراب، لا يحملون هموم أمة، ولا هموم دين، ولا وطن، ولا يسعون في نفع أنفسهم، أو نفع غيرهم، ولا يتناقشون في قضية حيوية، وليس لديهم رؤية واضحة لأي شيء، ولا يرون في أنفسهم أهلية لحمل أي رسالة نبيلة، أو العمل من أجل أي هدف عظيم، هذه الفئة موجودة بين الطلاب، وبين العمال، وبين الموظفين، والتجار، والمزارعين، وبين كل أصحاب الحرف والمهن.

هؤلاء يعانون من فراغ روحي وذهني مخيف، فحين يعاني المرء أيها الشباب من فراغ ذهني، فإنه يصبح مهيأ لأن يملأ عقله بالأفكار السلبية، وبالوساوس والأوهام، وكما قالوا: إن عقل الكسلان بيت الشيطان، حيث يشعر المصاب بالفراغ الذهني بالانحسار والعجز.

في المقابل، قد يكون الإنسان عاطلًا عن العمل لمدة من الزمان، لكنه يستغل أوقاته في زيادة تعبده لله تعالى، وفى تثقيف نفسه، وهو يتأمل، ويفكر، ويحلل، ويحاول تكوين رؤية عميقة لما حوله، إنه يقرأ، ويناقش، ويصل رحمه، ويكتسب مهارات جديدة، ويشعر بالأمل يملأ وجوده، إن هذا لا يعد مع المنتجين حسب النظرة المستعجلة، لكنه لا يعاني من مشكلة الفراغ، وهو يشعر بالامتلاء، ويشعر بأن لوجوده في هذا الحياة معنى، وعلى هذا فإن على كل واحدٍ منا أن يعيد النظر في حياته، وفى عمله، حيث إن هناك دائمًا إمكانية تحسين ذلك، وجعله أكثر فائدة، وأكبر معنى، وأعظم قيمة.

وثمة فراغ أشد من هذه فتكًا بالإنسان، إنه الفراغ القلبي، وأوضح الله أن الفراغ القلبي يكون علاجه بالإيمان به سبحانه وتعالى ولذا قال الحق لنبيه ﷺ: ﴿و ۆ ۆ ې﴾ **[الشرح: 7].**

يقول ابن مسعود: اطلب قلبك في ثلاثة مواطن، عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة، فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب، فإنه لا قلب لك، إذ يقول: إنها صورة النفوس الفارغة التي لا تعرف الجد، فتلهو في أخطر المواقف، وتهزل في مواطن الجد، وتستهتر في مواطن القداسة، يقول الحسن البصري رحمه الله: أدركت أقوامًا كانوا على

أوقاتهم أشد منكم حرصًا على دراهمهم، وأورد عبد الفتاح أبو غدة - رحمه الله تعالى - في كتابه الذي أوصى به كل واحدٍ (قيمة الزمن في حياة العلم والعلماء) أن أحد السلف - رحمهم الله - كان يتناول الفتيت طيلة عمره، ولا يمضغ الخبز، ولا يتناول من الطعام ما يعوقه، فسئل عن ذلك فقيل له: ما بالك تلتهم الفتيت؟ قال: بين سف الفتيت ومضغ الطعام قراءة ستين آية. رحمه الله رحمة واسعة.

يقول ابن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه من أجلي، ولم أزد فيه من عملي. ويقول الإمام الحسن البصري: ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي منادٍ يا ابن آدم أنا خلق جديد، وعلى عملك شهيد، فتزود مني، فإني إذا مضيت لا أعود إلى يوم القيامة.

إذن؛ الدعوة صريحة للشباب لاستغلال هذا الوقت العنفواني المزهر في تربية النفس تربية إيمانية في حياض كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ تقلبًا في حلق الذكر، ورتعًا في ميادينه الرحبة التي تحفها الملائكة، وتغشاها الرحمة، وتتنزل عليها السكينة. إنها دعوة جادة لصقل تلك المواهب، وللنهوض بها، ولصرف الهمم إلى الإنتاج البشري المثمر، فإننا معاشر المسلمين أحوج ما نكون لذلك.

إن هناك أسبابًا وعوامل تزيد في نسبة زيادة وقت الفراغ لدينا، وهي في الحقيقة كثيرة، لعل من أهمها الآتي:

<u>أولًا:</u> عدم معرفة قيمة الوقت، فمعظم الناس لا يشعرون أو لا يستحضرون في أذهانهم أن الوقت هو الحياة، وأن إضاعته سدى هي إضاعته لأنفس ما يملكه الإنسان.

<u>ثانيًا:</u> البطالة، وهي عامل من العوامل الأساسية في إيجاد الفراغ، فهناك مهنيون كثيرون يظلون في بيوتهم أيامًا دون أن يعثروا على عمل، وهم بحكم قصور ذاتي لم يتعلموا إتقان مهنة ثانية أو ثالثة يشتغلون فيها خلال عدم عثورهم على عمل في مهنتهم الأساسية، وهناك طلاب كثيرون يتخرجون من المرحلة الثانوية أو من المرحلة الجامعية ولم يعثروا على عمل ملائم، وبعضهم يرفض أن يعمل في أي عمل، ويكون البديل هو الفراغ.

<u>ثالثًا:</u> التفكك الأسري، وهذا سبب من أسباب الفراغ في الوقت، والفراغ في العاطفة، والفراغ في الشعور أيضًا، ففي دراسة استقصائية لأسباب الفراغ قالت إحدى الشابات: نحن أسرة يضمنا بيت واحد، وهذا البيت يخلو من الحنان، ويخلو من المودة، ويفتقر إلى المشاركة الوجدانية، فالإخفاق والفشل في الاستمرار في الدراسة والذي عادة ما يكون لأسباب أسرية، والتسرب الذي يحصل من الجامعات والمدارس، كل ذلك من الأسباب الهامة لوجود الفراغ. إن الشاب حين يترك الدراسة فإنه يواجه عبء خمس أو ست ساعات يوميًّا لو كان طالبًا لقضاها في مؤسسة تعليمية، لكنه الآن لا يدري ماذا يعمل فيها.

<u>رابعًا:</u> التقدم التقني، حيث إن الآلة وفرت الكثير من الجهد العضلي الذي كان يبذله السابقون.

خامسًا: الرفاهية، إن المرأة المرفهة تواجه مشكلة عويصة في التعامل مع الوقت، حيث إن الخادمات والشغالات قد قمن بالكثير من العمل بل بأكثر العمل المنزلي الذي كان عليها أن تقوم به، وقد وجدت المسكينة نفسها حائرة في أمرها، والشاب الذي كان يقضي الكثير من الوقت في خدمة أهله، وأسرته، وإخوته، وقضاء حوائجهم، وحوائج منزله، هذا الشاب وجد نفسه أيضًا فارغًا حين قام بدوره الخادم، والسائق، والموظف الشخصي.

سادسًا: عدم وجود الأهداف المحددة والواضحة والعملية، فنقص هذه الأهداف يشكل العامل الجوهري في وجود الفراغ في حياتنا، فالوقت يضيع ويتفلت ما لم نضغط عليه بأهداف مستقبلية، فالسواد الأعظم لشبابنا ليس لديه برنامج يومي ولا أسبوعي ولا شهري، وليس لديه أهداف مكتوبة ومحددة يسعى إلى تحقيقها لا خلال شهر، ولا خلال سنة، ولا خلال خمس سنوات؛ ولهذا فإنه يظل يشعر بالارتباك في التعامل مع الوقت، ويظل يعاني من الفراغ الروحي والذهني.

وهنا نسأل: كيف يكون الفراغ نعمة وهو منطوق في الحديث الشريف «**نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ**»(66)؟

نقول: إن الفراغ نعمة مثل الصحة، وهو أيضًا يوفر إمكانية للقيام بأشياء طيبة وعظيمة وهائلة، لكن ذلك لا يتم من غير تخطيط وجهد وتنظيم، وكما أن الإنسان قد لا يفيد من وضعيته الصحية الجيدة في أداء بعض الواجبات والقربات، والقيام ببعض الأعمال المفيدة، كذلك الإنسان نفسه الذي يملك الوقت قد لا يفيد منه بما يعود عليه بالنفع. إن الغبن يتمثل في أن تشتري شيئًا بأضعاف ثمنه الحقيقي، كما يتمثل في أن تبيع شيئًا قيمًا بمبلغ تافه، والإنسان الذي يضيع وقته قد يضيِّعه في عمل أشياء صغيرة وحقيرة، فيكون كمن باع شيئًا غاليًا بثمن بخس، وهو أيضًا في هذه الحالة مغبون، وقد يضيع وقته فيما يغضب الله سبحانه وتعالى، وفيما يضر بصحته العقلية والنفسية والجسمية؛ فيكون كمن اشترى شيئًا يؤذيه، ودفع مقابله شيئًا عزيزًا عليه.

هناك أربعة أشياء مهمة يمكن توزيع الوقت الفارغ من خلالها على أنشطة ذات فائدة، وهي:

الأول: التنمية الروحية من خلال العبادة والدعاء، وذكر أنواع الخير - وهذا القسم مهم جدًّا؛ فإنه يشكل محورًا مهمًّا، فعبوديتنا لله تعالى هي مصدر للسعادة الحقيقية والاستقرار والاطمئنان الداخلي.

الثاني: تنمية العقل من خلال القراءة، والحوار، والتعلم، والتأمل، والتفكير، ونحن أيضًا محتاجون حاجة ماسة إلى التقدم الشخصي، والتقدم العام على هذا الصعيد.

الثالث: محور تنمية البدن، وتقوية الجسم من خلال الأنشطة الرياضية المختلفة.

الرابع: الراحة، والاستجمام، وزيارة الأرحام، والأقرباء، والأصدقاء، والزملاء، إنه وقت حر لإنعاش الروح، والشعور بالحرية، وبالالتزامات بالجوانب الثلاثة السابقة التي ذكرتها.

إن التوازن في كل شيء هو الأمر الذي أعيا معظم الناس، وعلى الشباب السعي إلى الحصول على أفضل قدر منه.

---

(64) أحمد والترمذي والبخاري وابن ماجه.

(65) الحاكم والنسائي.

(66) الترمذي والبخاري وابن ماجه وأحمد.

الشباب والشات

ماذا تحمل لنا شبكة الإنترنت؟ تلك الشبكة العالمية التي ولدت سفاحًا بين التقنية الغربية وبين العداء المحموم المستعر، بين المعسكر الشرقي والغربي؛ لينتج عن هذه العلاقة مولود حرام هو هذا الإنترنت، ولكنه وإن كان مولودًا من سفاح فإن فيه منافع ومضار لا يجهلها الوالج إلى هذه الشبكة، ونحن ننادي بالتقنين الشرعي لمثل هذه الوسائل، التي فتحت على مصراعيها للناس.

إن الإنترنت كشبكة والكمبيوتر كأداة أحدثا انقلابًا في المفاهيم والممارسات النفسية والاجتماعية، التي كانت مستقرة في الأذهان والأوضاع، ومفهوم الذات والشخصية الذي أصبح محتاجًا إلى مراجعة في ضوء هذه المتغيرات الإلكترونية الحديثة.

فالإنترنت بحكم تحرره من كل قيد أو ضابط اجتماعي، أو رقابي، وبحكم خصوصيته واتساعه يخلق حالة نفسية غير مسبوقة في تاريخ الإنسانية، فهو يتيح للإنسان إطلاق رغباته الدفينة كلها، والتعبير عنها بصراحة مع من يرغب، وفي ظل هذا التسابق يظل هناك غياب تربوي كبير ملموس، في ظل انتقال الشباب بين غرف الدردشة: من الميكروسوفت، إلى الياهو، إلى الأيسي كيو، إلى الأوربي أون لاين..إلخ، وفي هذه الغرف يميل الناس إلى خلق شخصيات جذابة تلفت الانتباه، وتستقطب الاهتمام والإقبال؛ لتفوز بالحصول على الإعجاب وسط جمهور كبير هو رواد حجرات الدردشة.

مع اتساع شبكة المعلومات العنكبوتية، ومع انتشارها طولًا وعرضًا؛ لتطول كل بيت في أغلب بيوتنا؛ ولتصل إلى كل ركن تعليمي؛ حتى أصبحت أداة نتداعى جميعًا لإدخالها كل الأكاديميات، وكل المدارس والجامعات، مع هذا الامتداد العريض، ومع تغشي الناس لهذه الشبكة، كان لابد من الاحتكاك بين الجنسين رجالًا ونساءً، وقد سئل الإمام الماجد أبو معاذ وفقه الله تعالى عن ضوابط التواصل بين الجنسين عبر الإنترنت، فقال حفظه الله: يحضرني من هذه الضوابط ما يلي:

<u>أولًا:</u> عدم استخدام الصورة بأية حال، وذلك لأمرين:

-1 لأن هذا ليس له حاجة مطلقة، فالكتابة تغني وتكفي.

-2 لأن هذا مدخل عظيم من مداخل الشيطان، فيه تزيين الباطل وتهوينه على النفس.

<u>ثانيًا:</u> الاكتفاء بالكتابة والخط دون محادثة شفوية، وإذا احتيج إلى هذه المحادثة فيُراعى فيها الأمر الرباني **﴿فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفًا (23)﴾ [الأحزاب:32]**، وإذا كان هذا لأزواج النبي -عليه الصلاة والسلام- فكيف بغيرهن من النساء؟! وإذا كان هذا في عهد النبوة، فكيف بعصور الشهوة والفتنة؟!

ثالثًا: الجدية في التناول، وعدم الاسترسال في أحاديث لا طائل من ورائها، وبالصدق، فالكثيرون يتسلون بمجرد الحديث مع جنس آخر بغض النظر عن موضوع الحديث، يهم الرجل أن يسمع صوت أنثى خاصة إذا كان جميلًا ورقيقًا، ويهم الأنثى مثل ذلك، فالنساء شقائق الرجال، ويهم كل منهما أن يحادث الآخر ولو كتابيًّا، فليكن الطرح جادًّا بعيدًا عن الهزل والتمييع.

رابعًا: الحذر واليقظة وعدم الاستغفال، فالذين تواجهينهم في الإنترنت أشباح في الغالب، فالرجل يدخل باسم فتاة، والفتاة تقدم نفسها على أنها ولد، ثم ما المذهب؟ ما المشرب؟ ما البلد؟ ما النية؟ ما الثقافة؟ ما العمل؟ إلى آخره.. كل ذلك غير معروف.

إن الاستغراق والضياع والسقوط في استعمال الكمبيوتر والإنترنت يكون وفق لقطات يجملها دكتور أحمد عبد الله وهو طبيب نفسي فيما يلي:

اللقطة الأولى: دهشة غامرة أمام تقنية جديدة تتيح الكثير، وتفتح السبيل للاتصال على مصراعيه؛ بعيدًا عن حواجز المجتمعات المنغلقة، ويختلط فيها موروث الدين والقيم مع أدوات الحداثة بآفاتها وأخطارها، على نحو عجيب يستعدي التأمل والبحث ودون فهم لهذه التركيبة وآثارها الاجتماعية والنفسية.

اللقطة الثانية: بدافع من الفضول والغريزة المتأججة المتجاهلة من السياق العام والمحيط الاجتماعي، وشغلًا للفراغ في الوقت والذهن، وترفيهًا للنفس، وتبديدًا للسأم والضجر، ورغبةً في التواصل الإنساني، ينزل الشاب إلى عالم الشات مصطحبًا خلفيته الممزوجة بين الموروث والحديث.

اللقطة الثالثة: يعثر على ضالته، فتاة نزلت مثله بأغراض بريئة، تتفق معه في الأسس والمبادئ والأفكار، وبغفلة كاملة مصطحبة أمام تطورات مذهلة ومحتملة لمثل هذه المغامرة المثيرة والخطيرة.

اللقطة الرابعة: تبدأ العلاقة نصف مفتوحة متوجسة، ثم تنفتح عمقًا واتساعًا بين الطرفين؛ ولأن القلوب العربية قريبة من بعضها البعض؛ ولأن العواطف مشبوبة وملتهبة، غالبًا ما تشتعل نيران المحبة، والفتاة ترى في هذا كله نشأة لعلاقة ارتباط شرعي متدرجة، يقول المتنبي:

وَما العِشقُ إلا غِرَّةٌ وَطَماعَةٌ يُعَرِّضُ قَلبٌ نَفسَهُ فَيُصابُ

كذا ظنت المسكينة، وهي تقرأ طلبات الشاب بتصعيد العلاقة، ووصفها وبعلامات قرب الحسم بالتقدم للزواج، وبتركيبة الفتاة العربية تفلح أحيانًا في مقاومة التصعيد، ولكنها غالبًا تستسلم لأمر الحب الذي عاشت عمرها تنتظره وتحلم به.

اللقطة الخامسة: على الجانب الآخر تختلط عند صاحبنا المسائل، فهو من ناحية مأخوذ بهذه اللعبة المثيرة، منتش بالإنجازات التي يحرزها، وهو يعتقد أنه مقنع، وأنه مقبول، وأنه مرغوب فيه، وهذا يغريه بالاسترسال طلبًا للمزيد، وفي أوج النجاح يأتيه ضميره ليسأله، إلى أين؟ ولماذا؟ فيجيب عن ثقة واقتدار إلى الارتباط الشرعي، وطبعًا هذا على أحسن الأحوال، أو لمجرد العبث

وإشباع الغريزة مهما كانت النتائج، فالشاب في عرفنا جميعًا لا يضيره شيء، وإنما الملام هي الفتاة دائمًا على ظل تعلق بالستار الذي يتعلق به الجميع، أنا ومن بعدي الطوفان.

<u>اللقطة السادسة:</u> يغرقان في وهم يملأ عليهما حياتهما، ويظنانه حبًّا، فيتشاعران ويتبادلان أعذب الكلمات، وأرق العبارات؛ حتى يصل بهما الشوق الجامح والرغبة المستعرة إلى الانتقال من الكتابة إلى الصوت في نقلة خطيرة، يتبادلان أرقام الهواتف، لينتقلا من اللقاء الإلكتروني إلى الحديث الليلي الساهر، إلى ساعات متأخرة وبشكل شبه يومي.

<u>اللقطة السابعة:</u> يستمر هذا الشوق الذي يؤججه الصوت، لينتقل إلى اللقاء، فإذا كان اللقاء كانت نهاية المسلسل المأساوي، وهنا يبدأ العاشقان في اختيار الزمان والمكان، ليتم ما لا تتم القصة إلا به، وما نسميه بداية النهاية، أو خرابًا لمالطة، سمه ما شئت، ولتتحقق صورة نزار التي أخذ يبثها في أذهان الشباب:

الحـب ليس رواية شرقية
بختامـها يتـزوج الأبـطال

لكنه الإبـحار دون سفينة
وشعورنـا أن الوصول محـال

هو أن تظل على الأصابع رعشة
وعلى الشفاه المطبقات سؤال

هو جدول الأحزان في أعماقنا
فنموت نحن وتزهر الآمـال

هـو أن نثور لأي شيء تافه
هو يأسنا هو شكـنا القتال

هـو هذه الكف التي تغتالنا
ونقبل الكـف التي تغتـال

ألا يَهُولكُم هذا التصارع المحموم لإقامة ما يسمى بمقاهي الإنترنت؟ إن الشباب يأوون إلى هذه المقاهي لتيسر لهم سبل الاتصال، فالشباب يقصدونها أحيانًا للحفاظ على خصوصيات أجهزتهم، لما قد تتعرض له من القرصنة الإلكترونية، أو لما قد يجدونه مذللًا وسهلًا لهم للوصول إلى المواقع المشبوهة.

هذه رسالة موجهة إلى الآباء بأن يتنبهوا إلى أضرار هذه الشبكة، وأن يقوا أنفسهم وذويهم وأبناءهم الأضرار والمخاطر.

الشباب والحب

مشكلة المشاكل، التي من قِبَلِها أُتي الناس، إنه العشق والهوى الذي يجر هؤلاء الشباب لطرق هذه المواقع.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: العشق والشهوات إنما يبتلى بها أهل الإعراض عن الإخلاص لله، الذين فيهم نوع من الشرك، وإلا فأهل الإخلاص كما قال الله في حق يوسف : ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (24)﴾ [يوسف:24]، فامرأة العزيز كانت مشركة، فوقعت فيما وقعت فيه من السوء، ويوسف مع عزوبيته، ومراودتها له، واستعانتها عليه بالنسوة، وعقوبتها له بالحبس على العفة، عصمه الله بإخلاصه له تحقيقًا لقوله : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (83)﴾ [ص:82، 83].

ولا ريب أن محبة الفواحش مرض في القلب، وأن الشهوة توجب السكر كما قال عن قوم لوط : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (72) ﴾ [الحجر:72]، وفي الصحيحين واللفظ لمسلم: من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**العينان تزنيان وزناهما النظر**»، وقال الشافعي رحمه الله: من لزمته الشهوات، لزمته عبودية أبناء الدنيا، وقال ابن الجوزي: اعلم أن مطلق الهوى يدعو إلى اللذة الحاضرة من غير فكر في عاقبة، ويحث على نيل الشهوات عاجلًا، وإن كانت سببًا للألم والأذى في العاجل، ومنع لذات للذات في الآجل، وابن القيم- رحمه الله في كتاب الفوائد- يسطر فوائد الصبر على الشهوة، فيقول: «الصبر على الشهوة أسهل من الصبر على ما توجبه الشهوة، فإنها إما أن توجب ألمًا وعقوبة، وإما أن تقطع لذة أكمل منها، وإما أن تضيع وقتًا إضاعته حسرة وندامة، وإما أن تثلم عرضًا توفيره أنفع للعبد من ثلمه، وإما أن تذهب مالًا بقاؤه خير من ذهابه، وإما أن تضع قدرًا وجاهًا قيامه خير من وضعه، وإما أن تسلب نعمةً بقاؤها ألذ وأطيب من قضاء الشهوة، وإما أن تطرق لوضيع إليك طريقًا لم يكن يجدها قبل ذلك، وإما أن تجلب همًّا وغمًّا وحزنًا وخوفًا لا يقارب لذة الشهوة، وإما أن تنسي علمًا ذكره ألذ من نيل الشهوة، وإما أن تشمت عدوًّا وتحزن وليًّا، وإما أن تقطع الطريق على نعمة مقبلة، أو تحدث عيبًا يبقي صفة لا تزول، فإن الأعمال تورث الصفات والأخلاق».

ورحم الله الطنطاويَّ إذ يقول: لو أوتيت مال قارون، وجسد هرقل، وأوصلتك عشرة آلاف من أجمل النساء من كل لون وكل شكل وكل نوع من أنواع الجمال، هل تظن أنك تكتفي؟! لا، أقولها بالصوت العالي: لا، أكتبها بالقلم العريض، ولكن واحدة بالحلال تكفيك، لا تطلب مني الدليل، فحيثما تَلَفَّتُّم حولكم وجدتم في الحياة الدليل قائمًا وظاهرًا ومرئيًّا وصدق رحمه الله.

إن من أوقع الأمور في الدين، وأنهكها للجسد، وأتلفها للمال، وأجلبها للعار، وأزراها للمروءة، وأسرعها في ذهاب الجلالة والوقار الغرام بالنساء، ومن العجب أنك تجد الرجل لا بأس بلُبه ورأيه، يرى المرأة من بعيد متلففة في ثيابها، فيصور لها في قلبه الحسن والجمال؛ حتى تعلق بها نفسه من غير رؤية، ولا خبر، وهذا ما يحدث في الشات حقيقةً واقعة.

ذكر ابن حزم - رحمه الله تعالى - في كتاب «طوق الحمامة» أن رجلًا رأى امرأةً في المنام فتولع قلبه بها، وكلف بها أيما كلف، وأصابته صبابة، وأخذ يبحث عنها في اليقظة، حتى انتهى إلى ابن حزم، وجلس معه جلسة طويلة كانت هي الدواء لذلك الداء، وما يحدث لكثير من الفتيات الغرائر من هذا المسلسل الدامي الذي يتكرر هو من جنس هذا، وما تتعلق به كثير من الفتيات لمجرد الصوت الناعم هو من قبيل هذا الهوى الذي تظنه الواحدة منهن هوى، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَخُلِقَ الإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28) ﴾ [النساء: 28]، قال طاووس رحمه الله: إذا نظر إلى النساء لم يصبر، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يكن كفر من مضى إلا من قبل النساء، وهو كائن كفر من بقي من قبل النساء، أسأل الله وإياكم أن يعصمنا من مذلات الفتن.

يعيش عشرات من الشباب والفتيات غرقى في هذا الوهم، وقد شربوا من كأس الحب، واحتسوا منها حتى الثمالة، فيعيشون غرقى أمام هذه التداعيات، قال مجنون ليلى:

أَتَاني هَواها قبلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَـ
ـوَى فصادَفَ قَلْبًا خَاليًا فَتَمَكّنَا

إنهم في الزوايا والحنايا، يسكبون الدموع الغزار، ويتأوهون بأنات وزفرات يبثونها أحيانًا مكتوبة، وفي أحايين كثيرة يأوون إلى ركن شديد ممن يهوون الاتصال به، أو ممن يجدون راحتهم عنده؛ حتى يفرغوا تلك الآهات، وتلكم الزفرات، قال ابن دريد الأزدي:

وَما في الأَرضِ أَشقى مِن مُحِبٍّ
وَإِن وَجَدَ الهَوى حُلوَ المَذاقِ

تَراهُ باكِيًا في كُـلِّ وَقتٍ
مَخافَةَ فُـرقَةٍ أَو لاشتِياقِ

فَتَسخـنُ عَينُهُ عِندَ التَنائي
وَتَسخنُ عَينُهُ عِنـدَ التَلاقي

عشرات هم من الشباب وفئات من العواطف الجياشة في نفوس الفتيات اللاتي وقعن فريسة لهذا الحب، وهؤلاء نعرفهم بسيماهم، ونعرفهم في لحن القول، يقول الشاعر:

جننا بليلى وهي جنت بغيرنا
وأخرى بنا مجنونة ما نريدها

ويقول الأعشى:

عُلِّقتُها عَرَضًا وَعُلِّقَت رَجُلًا

غيري وَعُلِّقَ أُخرى غَيرَها الرَّجُلُ

إن ضحايا هذه المشكلة كثيرون جدًّا، ونجدهم يبثون مشكلاتهم عبر المجلات المتعلقة والمتخصصة بحل هذه المعضلات والمشاكل.

إنه لابد أن نعترف بوجود عاطفة جياشة في نفوس الجميع تدفع المرء إلى الحب، إن هذه القلوب المرهفة، وتلك الأحاسيس المفتقرة تشتمل فيما تشتمل عليه من عاطفة جياشة، يقول الشاعر[(67)](#):

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى

فقم فاعتلف تبنًا فأنت حمار

إذًا فالحب شيء قدسي سامٍ، وقضية نبيلة أساسية، يعيشها البشر ذكرانًا وإناثًا، والخطر لا يكمن هنا، إن الخطر كل الخطر يكمن في إرادة تجاهل هذه العاطفة، وتلك القوة؛ ليعيش الإنسان بعد ذلك آلة صماء شأنه في ذلك شأن سائر الجمادات، يقول الشاعر[(68)](#):

ومكلف الأيام ضد طباعها

متطلب في الماء جذوة نار

إن الخطر يكمن في عدم توظيف هذه العاطفة، وفي عدم السمو بها؛ لتكون عاطفة إيجابية، إنه ينبغي لنا ألا نتعامى أمام هذه العاطفة، وألا نغلق الأعين والأسماع، وأيضًا لا ينبغي لنا أن نتعامى عن توجيه هذه العاطفة توجيهًا إيجابيًّا؛ ليتحول هذا القلب إلى أشرف المحبوبات، وإلى أحقها بامتلاك السمع والقلب والضمير، وإلى توجيه الحب الخالد، إلى أحب المحبوبات، وإلى حب الله ، وإلى حب رسوله ﷺ، وإلى حب الجمال المبثوث في الكون، وإلى حب الخير وإشاعته ونشره بين الناس، وإلى الحب العاطفي كذلك، ولكن في حدود العلاقة المشروعة التي رسم منهاجها كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

---

(67) عمر بن أبي ربيعة (بتصرف).

(68) أبو الحسن التهامي.

الشباب وإطلاق النظر

إن إطلاق النظر سبب لأعظم الفتن، فكم من عابد فسد بسبب النظر، وكم من شباب انتكس بسبب النظر، وقد كانوا من الطائعين، وكم وقع بسببه أناس في الزنى والفاحشة والعياذ بالله.

كل الحوادث مبـدؤها من النظر

ومعظم النار من **مستصغر الشرر**

كم نظرة فتكت في قلب صاحبهـا

فتك السهام بلا قـوس ولا وتر

والمـرء ما دام ذا عيـن يقلبها

في أعين الغيد موقوف على الخطـر

يسر مقلته ما ضر مهجتـــه

لا مرحبًا بسرور عاد بالضـرر(69).

فالمسلم في الأصل لا يرتكب الكبائر: لا يسرق، ولا يزني، ولا يقتل، ولا يشرب الخمر، ولكن بلاء المسلمين ليس في الكبائر، بل فيما يتوهمونه صغائر، والصغائر إذا أصر الإنسان عليها انقلبت إلى كبائر.

فالعين مرآة القلب، فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق العبد بصره أطلق القلب شهوته وإرادته، ونقش فيه صور تلك المبصرات، فيشغله ذلك عن الفكر فيما ينفعه في الدار الآخرة، يقول الإمام القرطبي: «البصر هو الباب الأكبر إلى القلب، أكبر باب، بل أوسع باب إلى القلب هو البصر، وأعمق طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه، وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله».

قال عبد الله بن مسعود: «حفظ البصر أشد من حفظ اللسان».

ويقول ابن مسعود أيضًا: «ما من نظرة وإلا وللشيطان فيها مطمع»، يعني أكبر الفواحش تبدأ بإطلاق البصر.

وقد اتفق على تحريم النظر للنساء علماء السلف والخلف من الفقهاء والأئمة، والمقصود نظر الأجانب من الرجال والنساء بعضهم إلى بعض -وهم من ليس بينهم رحم من النسب، ولا محرم من سبب كالرضاع وغيره- فهؤلاء حرام نظر بعضهم إلى بعض.

فإنه لما كان إطلاق البصر سببًا لوقوع الهوى في القلب أمر الشارع بغض البصر عما يخاف عواقبه، فقال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ **(03)** وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ **(13)**﴾ **[النور: 30، 31].**

قال الطبري -رحمه الله تعالى-: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ قل للمؤمنين بالله وبك يا محمد (يغضوا من أبصارهم) يقول: يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه مما قد نهاهم الله عن النظر إليه»(70).

وقال القرطبي -رحمه الله تعالى-: «وبدأ بالغض قبل الفرج، لأن البصر رائد للقلب كما أن الحمى رائدة الموت وأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال(71):

ألم تر أن العين للقلب رائد

فما تألف العينان فالقلب آلف

وقال ابن القيّم -رحمه الله تعالى-: «وأمر الله تعالى نبيه أن يأمر المؤمنين بغض أبصارهم وحفظ فروجهم، وأن يعلمهم أنه مشاهد لأعمالهم مطلع عليها يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور، ولما كان مبدأ ذلك من قبل البصر جعل الأمر بغضه مقدمًا على حفظ الفرج، فإن الحوادث مبدؤها من النظر كما أن معظم النار مبدؤها من مستصغر الشرر، ثم تكون نظرة، ثم تكون خطرة، ثم خطوة، ثم خطيئة، ولهذا قيل: من حفظ هذه الأربعة أحرز دينه: اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات، فينبغي للعبد أن يكون بواب نفسه على هذه الأبواب الأربعة ويلازم الرباط على ثغورها، فمنها يدخل عليه العدو فيجوس خلال الديار ويتبر ما علوا تتبيرا»(72).

وقال الجلال المحلي -رحمه الله تعالى- «﴿ وَلاَ يُبْدِينَ ﴾ يظهرن ﴿ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ﴾ وهو الوجه والكفان، فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين. والثاني: يحرم لأنه مظنة الفتنة ورُجِّح حسمًا للباب»(73).

وقال القرطبي - رحمه الله تعالى-: «وغضه واجب عن جميع المحرمات، وكل ما يخشى الفتنة من أجله وقد قال ﷺ: «**إياكم والجلوس على الطرقات**» فقالوا: يا رسول الله ما لنا من مجالسنا بُد نتحدث فيها؟ فقال: «**فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقه**» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «**غض البصر وكف الأذى ورد السلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»(74).

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: «وقد اشتملت على معنى علة النهي عن الجلوس في الطرق من التعرض للفتن بحضور النساء الشواب وخوف ما يلحق من النظر إليهن من ذلك إذ لم يمنع النساء من المرور في الشوارع لحوائجهن»(75).

وصدق رسول الله فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ بَنِي آدَمَ حَظٌّ مِنْ الزِّنَا؛ فَالْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ وَزِنَاهُمَا النَّظَرُ..**»(76).

فالمسلم مكلف أن يغض البصر، لا عن كل النساء بل عن النساء الأجنبيات، لكن النساء المحارم كالأم، الأخت، البنت، العمة، الخالة، بنت الأخ، بنت الابن- له أن ينظر إليهن، بشرط ألا يدقق، وألا يتبع التفاصيل والخطوط، وشيء طبيعي جدًّا أن الإنسان ينظر نظرة كلية، ولا يدخل المسلم على أمه أو أخته إلا بعد الإذن، فعَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ سَأَلَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ فَقَال: «**نَعَمْ**»، قَالَ الرَّجُل: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا**»، فَقَالَ الرَّجُلُ إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟**». قَال: لَا، قَالَ: «**فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا**»(77).

فينبغي ألا تملأ عينيك من محاسنهن، وينبغي أن تنظر إليهن نظرة إجمالية، ولذلك منع العلماء أن تظهر الأخت أمام أخيها بثياب فاضحة، أو مجسمة، أو شفافة، ولعل في هذا علاج شاف لكل ما انتشر في المجتمع من زنا محارم، والعياذ بالله.

وإذا اضطر الشاب أو الرجل إلى النظر إلى فتاة، أو لنقل وقعت عينه على شيء منها دون رغبة، أو دون قصد فعليه أن يسارع بصرف نظره عنها، فعَنْ ابْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ لِعَلِيّ: «**يَا عَلِيُّ لَا تُتْبِعْ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الْأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الْآخِرَةُ**»(78).

فالمرأة بالذات إذا نظرت إليها تبدلت كيمياء الدم، ولا تكتفي بالنظر إليها، بل لا بد من أن يتبع النظرة حركة، طبعًا بحسب الموانع والأعراف والتقاليد، أما لو أتيح لك أن تتابع الأمر لما توقف الأمر عند النظر؛ لذلك فكل شيء محرم عليك أن تفعل شيئًا مخالفًا للمنهج، فممنوع أن تدرك المرأة؛ وأن تتأمل بها، وأن تتمتع بجمالها، فضلًا عن أن تقترب منها.

ولكن التساؤل: كم زمن النظرة الأولى ؟ قال العلماء: ينبغي أن تكون في أقلِّ زمن ممكن، فإذا أطال هذا الإنسان النظرة الأولى فقد وقع في المخالفة.

قال ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «إن النظرة الأولى سهم مسموم من سهام إبليس، ومعلوم أن الثانية أشد سمًّا، فكيف يتداوى من السم بالسم... كذلك النظرة إذا أثرت في القلب فإن عَجَّل الحازم وحسم المادة من أولها سهل علاجه وإن كرر النظر ونقب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب فارغ فنقشها فيه تمكنت المحبة، وكلما تواصلت النظرات كانت كالماء يسقي الشجرة فلا تزال شجرة الحب تنمو حتى يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به فيخرج بصاحبه إلى المحن ويوجب ارتكاب المحظورات والفتن ويلقي القلب في التلف، والسبب في هذا أن الناظر التذت عينه

بأول نظرة فطلبت المعاودة كأكل الطعام اللذيذ إذا تناول منه لقمة ولو أنه غض أولا لاستراح قلبه وسلم، وتأمل قول النبي ﷺ: **«النظرة سهم مسموم من سهام إبليس»** فإن السهم شأنه أن يسري في القلب فيعمل فيه عمل السم الذي يسقاه المسموم، فإن بادر استفرغه وإلا قتله ولا بد»(79).

إن النظر إلى النساء غير المحارم يورث الحسرات والزفرات، والألم الشديد، ففضلًا عن فساد القلب ونسيان العلم ونزول البلاء وإبطال الطاعات والغفلة عن الله والدار الآخرة؛ فإن القلب إذا شغل بالمحرمات أورثه ذلك كسلًا عن ذكر الله وملازمة الطاعات، فإن لإطلاق النظر أثرًا على صحة الإنسان، فقد ثبت علميًّا بالأبحاث والدراسات الطبية أن تكرار النظر بشهوة إلى الجنس الآخر وما يصاحبه من تولد رغبات جامحة لإشباع الغرائز المكبوتة، كل ذلك يفضي بالشخص إلى مشاكل عديدة قد تصل إلى إصابة جهازه التناسلي بأمراض وخيمة مثل احتقان البروستاتا، أو الضعف الجنسي وأحيانًا العقم الكلي. كما أثبتت بعض الدراسات الاجتماعية في المجتمعات الغربية أن عدم غض البصر يورث الاكتئاب والأمراض النفسية، وأن التفسخ الأخلاقي والتحلل الجنسي في تلك المجتمعات إنما هي بعض من نتائج عدم وجود دستور ديني أو قيود أدبية أخلاقية تنظم عمل هذه الحاسة النبيلة ويرشد استخدامها في الحياة بما يتوافق مع صحة الإنسان البدنية والنفسية.

هناك بعض الشباب يقولون إنهم أدمنوا النظر إلى النساء، حتى أصبحت عادة لا يستطيعون الإقلاع عنها، وعدم القدرة على غض البصر نوع من ضعف العزم والتعود على المعصية، ولا علاقة له بمسألة الاستطاعة، وكلنا يستطيع الالتزام بالنواهي والتغيير لو أراد ذلك، لكن هذا التغيير يحتاج إلى بذل الجهد والصبر والمداومة على ذلك، تمامًا كما يسعى الإنسان في طلب أمر من أمور الدنيا تجده لا يكل ولا يمل.

وتغيير هذا السلوك يحتاج إلى نوع من المشاركة اليومية مع النفس وفي الخلوات، أعني بذلك العزم المتكرر على عدم الوقوع في هذا الذنب والمحاسبة، ولا بأس من القيام ببرامج عملية لتغيير هذه الصفة كنوع من التأديب والتهذيب لهذه النفس، كالالتزام مثلًا بسير مسافة من الوقت مع الالتزام بغض البصر، والقيام ببعض الشعائر التعبدية عند الوقوع في هذا الذنب، من باب قوله ﷺ **«أتبع السيئة الحسنة تمحها»**.

كما لا يجوز للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل أو المرأة إلى عورة المرأة، فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: **«لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَى عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا المَرْأَةُ إِلَى عَوْرَةِ المَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي المَرْأَةُ إِلَى الْمَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الْوَاحِدِ»**(80).

قال النووي: فيه تحريم نظر الرجل إلى عورة الرجل والمرأة إلى عورة المرأة، وهذا مما لا خلاف فيه، وكذا الرجل إلى عورة المرأة، والمرأة إلى عورة الرجل حرام بالإجماع، ونبَّه ﷺ بنظر الرجل إلى عورة الرجل، والمرأة إلى عورة المرأة على ذلك بطريق الأولى.

ويستثنى الزوجان فلكل منهما النظر إلى عورة صاحبه، وأما المحارم: فالصحيح أنه يباح نظر بعضهم إلى بعض لما فوق السرة وتحت الركبة قال: وجميع ما ذكرنا من التحريم حيث لا حاجة

ومع الجواز حيث لا شهوة(81).

أما عورة الرجل مع الرجل فهي من (السرة إلى الركبة) ولا يحل للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل فيما بين السرة والركبة وما عدا ذلك فيجوز له النظر إليه. وأجمع جمهور الفقهاء على أن عورة الرجل ما بين السرة إلى الركبة كما صح في الأحاديث الكثيرة، وقال مالك رحمه الله: «الفخذ ليس بعورة». ومما يدل لقول الجمهور ما روي عن (جرهد الأسلمي) وهو من أصحاب الصُّفَّة أنه قال: جَلَسَ رَسُولُ الله ﷺ عِنْدَنَا وَفَخِذِي مُنْكَشِفَةٌ فَقَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْفَخِذَ عَوْرَةٌ**»(82).

وعَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَا تَكْشِفْ فَخِذَكَ وَلَا تَنْظُرْ إِلَى فَخِذِ حَيٍّ وَلَا مَيِّتٍ**»(83).

والأمر كذلك بالنسبة لعورة المرأة مع المرأة فهي كعورة الرجل مع الرجل أي من (السرة إلى الركبة)، ويجوز النظر إلى ما سوى ذلك.

---

(69) روضة المحبين /97.

(70) جامع البيان 18/116.

(71) تفسير القرطبي 12/227.

(72) الجواب الكافي / 105.

(73) تفسير الجلالين /462.

(74) تفسير القرطبي 12/223، والحديث رواه أبو سعيد الخدري خرجه البخاري(5875) ومسلم (2121).

(75) الفتح 11/12.

(76) مسند أحمد رقم 8170.

(77) موطأ مالك 1519.

(78) أبو داود في سننه رقم 1837، الترمذي رقم 2701، قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، صحيح الترغيب والترهيب رقم 1903، قال الألباني: (حسن لغيره) - جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة - الألباني رقم 77، المكتبة الإسلامية - عمان – الأردن الأولى – 1413، غاية المرام رقم 183.

(79) روضة المحبين /94.

(80) رواه مسلم (338).

(81) انظر: فتح الباري (9 / 339)، تحفة الأحوذي 2/107.

(82) سنن أبي داود رقم 3498.

(83) سنن أبي داود رقم 3499.

الشباب والمعاكسات

لقد عادت المعاكسات بقوة إلى شوارعنا وبيوتنا وأسواقنا، وانتشر ذلك بين شبابنا وبناتنا انتشار النار في الهشيم، حتى صار ظاهرة في مجتمعاتنا، وشيئًا يملأ الأسماع والأبصار، تروى فيه وقائع تثير العجب، وتدمي القلب، وتستوقف الحريص الغيور.

فالمعاكسات تعتبر واحدة من أعظم وسائل جلب الفساد وانتشار الفاحشة، بتيسير اللقاء الحرام، وما خلا رجل بامرأة إلا وكان الشيطان ثالثهما. وهي وسيلة من وسائل دمار الأسر وتضييع مستقبل الفتيات.. فكم من فتاة عرف عنها ذلك السلوك المشين فأغلقت على نفسها باب الزواج، وعن أخواتها، وربما عن إخوانها أيضًا. وكم من زوجة وقعت فريسة للمعاكسات فعلم زوجها فطلقها، فضاعت وضاع أولادها معها. والمعاكس لا يحسن الظن بأهله وزوجته فيما بعد، فكل حركة سيظنها تعاكس وكل كلمة أو مكالمة سيظنها مع رجل، كما كان يفعل هو بغيرها. فيضيع الاستقرار من الأسر وكأنها عقوبة من الله تعالى على فعلة السوء والتسلط على أعراض الناس.

ومن تتبع ما وقع من جراء المعاكسات من حوادث أليمة، وفواحش عظيمة، تحسر أيما تحسر على أحوال بنات المسلمين، وأدرك أن هذه المعاكسات وسيلة تغرير، وشباك صيد، يستهدف عرضهنَّ ويسود وجوههنَّ، ويتركهنَّ ضحايا في الزوايا، أو بائعات هوى ومنحرفات، سوسًا ينخر في جسد الأمة.

وقد تعددت طرق المعاكسات وتفنن فيها الشباب -بنوعيه- أيما تفنن، والعجيب في الأمر أن نسبة ليست بالقليلة من تلك المعاكسات تصدر عن فتيات يعاكسن الرجال، وبنات يشاغلن الشباب في الهواتف بمعسول الكلام وعبارات الغزل والتهتك، والغرض في البداية اللعب والتسلي أو تمضية وقت فراغ، أو سماع بعض كلمات الحب المحرومة من سماعها، أو حتى كلمات ماجنة لتفريغ شحنة كامنة، أو حتى بحثًا عن عريس الغفلة المختبئ وراء سماعة الهاتف أو النت.

ومن أسباب تفشي ظاهرة المعاكسات:

أولاً: الفراغ والبطالة:

فمع انتشار البطالة ووجود الفراغ القاتل، أصبحت كثير من أوقات شباب الإسلام ضائعة بلا عمل ولا وظيفة، ولا كسب ولا تحصيل ولا طاعة، فلما لم تجد ما يشغلها في الصالح المفيد شغلوها بالطالح الضار.

ثانيًا: ضعف الإيمان:

فأكثر شبابنا، قليل الإيمان، ليس له علاقة بالله تعصمه، ولا عبادة تشغله، ولا ورد من القرآن والذكر يؤنس وحشته، فلما أعرض عن الله آخاه الشيطان فاستوحش فذهب يبحث عن شيء يؤنس وحشته، ويُذهب عن القلب ظلمته، فما وجدها إلا في مغازلة الفتيات.

ثالثًا: رفقة السوء:

صديق السوء لا يأتي من ورائه إلا الشر، فالطباع سراقة، والمرء على دين خليله.. ومن صادق معاكسًا فلابد يومًا أن يعاكس.

رابعًا: النت ووسائل الإعلام:

إطلاق النظر في هذه القنوات أو المجلات أو المواقع العفنة في النت، كل ذلك من أعظم دواعي الفتنة، وإثارة الشهوة، ومما يهيج النفس ويهيئُها للبحث عن المعاكسات والمكالمات، ويجعل في النفس جموحًا لتقبل دعوات الفساق، سواء في الهاتف أو غيره.

خامسًا: تعقيد الزواج وتأخيره مع سهولة الحرام:

فإن الباعث الأكبر على تلك البلية (أعني المعاكسات والمغازلات)، إنما هو الشهوة والفراغ، وفي الزواج المبكر حفظ للشباب والبنات، فيجد الشاب المنفذ الحلال لشهوته، ولا يجد فراغ العاطلين لانشغاله بأمور بيته وأولاده.

وأخيرًا: تبرج النساء:

تخرج البنت متزينة ومتعطرة، تدعو بذلك الشباب لمعاكستها بطريقة لبسها ومِشيتها وزينتها وعطرها.

الشباب وقضايا الأمة

هناك كثير من الشباب في شك من النصر، عندما يجد الأكلة ينهمون وينهلون في جسد الأمة من كل اتجاه، والحقيقة عكس ذلك، ولا شك أن النفوس الشماء يسوءُها الضيم، ويمضها الظلم؛ لأن الظلم القاهر تسلب به الحقوق، وينتهك به العرض والحرمات، وتزهق به الدماء البريئة.

ففي طريقنا إلى النصر نحتاج أن نزيل الرهبة من قلوبنا، فلقد ارتسمت في أذهان كثير من المسلمين، ووقع في روعهم أن في الكون قوة لا تغلب، مع أن الواقع يشهد أن الأفغان نخروا في سد الروس حتى مزقوا تلك القوة الهائلة إلى أشتات، والفأرة قديمًا نخرت في سد مأرب حتى مزقته، و شُتتت ما حوله من المدائن والقرى، هذا الهاجس كان يقوم في نفوس المسلمين إبان فترة من الزمن، وصل المسلمون فيها إلى ما وصلوا إليه اليوم من الضعة، والاستكانة، والركون إلى الدنيا، واتباع أذناب البقر؛ فغزا التتار عاصمة الإسلام، غزوا بغداد، وغزوا المدائن الإسلامية، فبلغ الرعب من نفوس المسلمين - كما نقل ذلك ابن الأثير ولا أدري كيف خطت ذراعه هذا التاريخ المؤسف، وهذه الصفحة السوداء من تاريخ أمتنا - حتى كانت المرأة من التتر تمر على الجماعة من المسلمين وليس معها سلاح، فتقول لهم: امكثوا مكانكم، وسوف آتي بسلاحي لأقطع أعناقكم، فلا يرفعون رءوسهم حتى تذهب لتأتي بسكينها وتجتز أعناقهم، ولما بلغت الرهبة من نفوس المسلمين هذا المبلغ؛ فطن المظفر قطز - رحمه الله تعالى - إلى أن أول أسباب النصر نزع هذه الهيبة، وهذه الرهبة التي قامت في نفوس هؤلاء المسلمين، ووافق أن أرسل إليه التتار بعض الرسل، فما كان من الموفق المظفر إلا أن قطع أعناقهم، وعلَّقها على مداخل المدينة، وفي مجمعاتهم، وأسواقهم ليقضي على أسطورة أن هناك قوة لا تغلب، وأن هناك جيشًا لا يهزم، يقول تعالى: **﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (140)﴾ [النساء: 104].**

من الأصول في طريق النصر، والتمكين، والعزة، والرفعة، والتأييد، أن الرضا بالتنازل للأعداء لا يأتي أبدًا بخير، هل هناك من هو أصدق من الله قيلًا؟ وهل هناك من هو أحسن من الله حديثًا؟ قال الحق جل ثناؤه: **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ (120) ﴾ [البقرة:120]**، خلعت عنك ربقة الولاية وربقة النصر والتأييد من الله ، ووكلت إلى نفسك وقوتك، فلتنظر ماذا تصنع لك قوتك وماذا سيصنع لك نصرك! قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ ﴾ [آل عمران: 118].**

علمتنا الأزمة أن المأساة تحمل في طياتها بصيصًا من النور، وأن النصر ينبت دائمًا في رحم المأساة، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسرًا، يقول ابن النحوي:

قَد آذَنَ لَيلُكِ بِالبَلَجِ اِشتَدّي أَزمَةُ تَنفَرِجي

ويقول الشافعي:

ضاقت فَلَمّا استَحكَمَت حَلَقاتُها فُرِجَت وَكُنتُ أَظُنُّها لا تُفرَجُ

والله قبل ذلك أصدق وأبلغ حيث يقول: ﴿**لَتُبْلَوُنّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (186)**﴾ **[آل عمران: 186]**.

أبشروا بالنصر، نعم أبشروا بالنصر؛ لأن المبشّر به هو الله الذي يقول: ﴿**إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ (51) يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (52)**﴾ **[غافر:51، 52]**، ويقول أيضًا: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (214)** ﴾ **[البقرة:214]**، ويقول أيضًا: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ (47)** ﴾ **[الروم:47]**، ويقول أيضًا: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)**﴾ **[الصف: 10-12]**، أين؟ في جنات عدن ﴿**ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12) وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13)**﴾ **[الصف: 12، 13]**، ويقول أيضًا: ﴿**إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)**﴾ **[محمد:7]**، ويقـول تعـالى:

﴿**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)**﴾ **[آل عمران:160]**، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (171) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ (172) وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (173)** ﴾ **[الصافات:171 - 173]**.

والله إننا لنثق بالنصر موعود الله ، وموعود رسوله ﷺ مهما احلولكت الرؤية، ومهما اشتد الظلام، فرسول الله ﷺ يقول - وهو مطارَد - لسراقة بن مالك: يا سراقة، ليسورنك الله سواري كسرى، وقام ﷺ وقد طوقه الحلفاء، وتآلبوا عليه في الأحزاب بعددهم وعديدهم وخيلهم ورجلهم، جاءوا من كل حدب وصوب، وجاءوا بكل أسلحة الفتك والدمار، والنبي- عليه الصلاة والسلام- وأصحابه يحفرون الخندق، وقد بلغت الروح الحلقوم، وظن قوم من المسلمين أو المنتسبين للإسلام بالله الظنون، وقال قوم: ﴿**مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُورًا (21)** ﴾ **(الأحزاب:12)**، ومع ذلك قام النبي- عليه الصلاة والسلام-، فتناول فأسه فضرب بها الأولى، وقال: **«الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر من مكاني هذا»**، ثم ضرب الثانية، وقال: «**الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني، الله أكبر، أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا»**.(84)، من القائل؟ إنه محمد ﷺ ينفث روح الأمل في الأمة في

أحلك ظرف يمر عليه وعلى أصحابه - رضوان الله عليهم وصلوات الله وسلامه عليه - ولما جاء عدي بن حاتم إلى رسول الله ﷺ نفث في روحه الأمل، ووثقه بالنصر، وقال: يا عدي، أتعرف الحيرة؟ قال: نعم، فقال ﷺ: **«والله ليظهرن الله هذا الدين حتى تسير الظعينة من الحيرة إلى مكة، وحتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه».**

إن الإسلام إلى خير وفي خير، والإسلام محفوظ بحفظ الله شاء ذلك الله قدرًا، فلن يبيد الإسلام، ولن يبيد أهله، قال الحق : **﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) ﴾ [التوبة:33]**، وأخرج الإمام مسلم في صحيحه عن ثوبان أن النبي ﷺ قال: **«إن الله قد زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن ملك أمتي سيبلغها، ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، لا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلاًّ يذل الله به الكفر»**، الإسلام محمي محفوظ، تكفل الله بحفظه.

---

(84) مسند أحمد.

مــن إصـــــدارات

الأستاذ الدكتور

أحمد شوقي إبراهيــم

- ❐ موسوعة الإعجاز العلمي في الحديث النبوي:
  - الجزء الأول: النبي ﷺ.
  - الجزء الثاني: خلق الإنسان.
  - الجزء الثالث: الزمــن.
  - الجزء الرابع: الطبيعة وما وراء الطبيعة.
  - الجزء الخامس: النبــات.
  - الجزء السادس: الحشرات والطفيليات والعنكبوتيات والميكروبات.
  - الجزء السابع: الدواب فـي البر والبحر.
  - الجزء الثامن: الطب النفسي.
- ❐ تسبيـح الكـــون.
- ❐ الإنســان وعالــم الجــن.
- ❐ الأحداث الثلاثة العظمى فـي الدعوة الإسلامية (البعثة ـ الإسراء والمعراج ـ الهجرة).
- ❐ الروح والنفس والعقل والقرين.
- ❐ أسرار النوم .. رحلة فـي عالم الموت الأصغر.
- ❐ الجبال ورسالات الأنبياء.
- ❐ الإنسان وعالم الملائكة.
- ❐ موسوعة تصحيح المفاهيم «الجزء الأول».
- ❐ معجزات الأنبياء والمرسلين في ضوء القرآن والسُّنَّة.
- ❐ سلسلــة التربيــة الإســلاميـــة:
  - الجزء الأول: الإسلام.
  - الجزء الثاني: الإيمان.
  - الجزء الثالث: حقوق الإنسان.
  - الجزء الرابع: بر الوالدين.
  - الجزء الخامس: حقوق الأطفال.
  - الجزء السادس: تربية الشباب.

- الجزء السابع: قضايا الشباب.
- الجزء الثامن: حق الجار.
- الجزء التاسع: حُسن الخُلُق.
- الجزء العاشر: الرفق بالحيوان.

❏ موسوعة عالم الإنسان في ضوء القرآن والسُّنَّة:

- الجزء الأول: نشأة الإنسان وخَلْقُه.
- الجزء الثاني: الإنسان في جميع أطوار حياته.
- الجزء الثالث: طعام الإنسان وشرابه.

❏ موسوعة الرد على الشبهات والافتراءات الموجهة ضد الإسلام (ثلاثة أجزاء).

